

محمد کمال صدیق احمدیہ
متین الحکمہ

بیان کریمہ	سیدی کاظم علی	اللہ عزیز	اللہ عزیز
بیان کریمہ	سیدی کاظم علی	اللہ عزیز	اللہ عزیز
بیان کریمہ	سیدی کاظم علی	اللہ عزیز	اللہ عزیز
بیان کریمہ	سیدی کاظم علی	اللہ عزیز	اللہ عزیز
بیان کریمہ	سیدی کاظم علی	اللہ عزیز	اللہ عزیز

بیان کریمہ سیدی کاظم علی

جبرايل

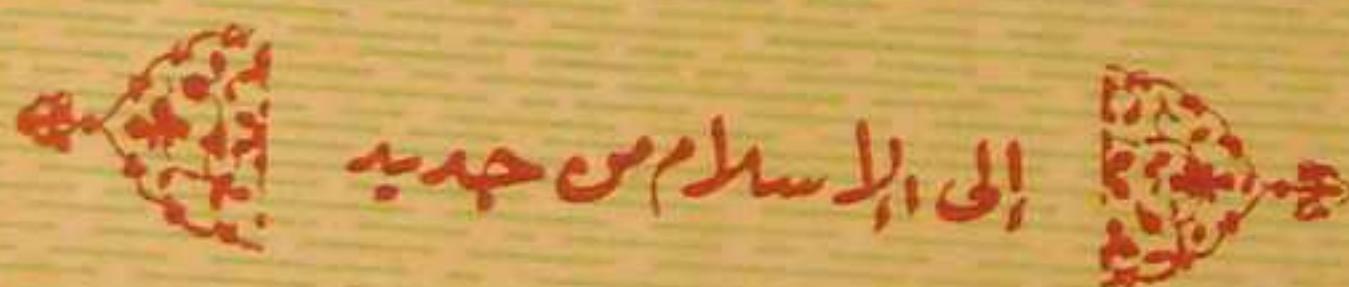
٢٣٣١
٢



٢٢٢٣٢

البعثة الإسلامية

شمارنا الرحيم



د السادس

المجلد

اسع عشر

تصدر : في ندوة العلما لكتبه (الهند)

رمي الحرام

١٣٩٥

فبراير

١٩٧٤

البعث الإسلامي

★ العدد السادس
★ المجلد التاسع عشر

* فبراير ١٩٧٥ م

* محرم الحرام ١٣٩٥

رئيس التحرير : محمد الحسيني
مدير التحرير : سعيد العظسي

(ندوة العلماء)

أختي المسلم

قامت ندوة العلماء على مبدأ الجمع بين الدين الخالد الذي لا يتغير وبين العلم النامي الذي لا يتجدد بين صلابة الحديد في الثبات على العقيدة ، وبين نعومة الحرير في اقتباس العلوم النافعة ، فيما العالم الديني في عقيدته و عبادته جل ثابت ، إذا هو في علمه و دراسته و تقدمه نهر عذب جار ، وبهنا هو في نصوص الدين و عزائمها مرابط على الثغر و حارس للأمانة ، إذا هو في قيمته و دعوته جندي مهاجم و مسلح على أحدث طراز ، وبهنا هو في الأول لا يعرف الموادة إذا هو في الثاني لا يعرف الجود .

أختي في العقيدة و الدين لا في التراب و الطين ،
أختي على درب الإيمان والجهاد ، وطريق الشوك و القتاد ، أختي في النضال و الكفاح و التضحية و الدماء ، أختي في الحق و الصبر في الوطن و المجر ، أختي في مهبط الوحي و منيع الصبح الصادق في ليل الإنسانية الفاسق ، أختي في زهرة الصحراء و درة الخليج بين الرياح العاتية والأمواج الثائرة ، أختي في اليأس والرجاء والشدة والرخاء ،
أختي في الله أتقدم إليك هذه المجلة سلاماً لك في وجه الباطل ، زاداً لك في طريق الإيمان ، عوناً لك على نواب الحق ، نصيراً لك في صراع النور و الظلام و معركة الجاهلية و الإسلام ،
فليكن دورك فيها دور مرابط على الثغر حارس للأمانة أكثر من دور مشترك رسمي في مجلة ، أو زبون في محل تجارة ١٠٠

في الهند و باكستان : عشرون روبيه - ثمن النسخة روبيتان .

في العالم العربي : جنبهان (استرليني) (بالبريد العادي)

، ، ، أربعة جنيهات (استرليني) (بالبريد الجوى)

في إفريقيا الجنوبية والشمالية : خمسة جنيهات (استرليني) (بالبريد الجوى)

الاشتراكات

العنوان : بيت البعث الإسلامي ، دار العلوم لندوة العلماء لكتبة (الهند)

الهاتف : ٢٩١٧٤ - ٢٢٩٤٨

المراسلات

برقـا

الاشتراكات في باكستان ترسل إلى مجلة « البلاغ » دار العلوم
كراتشي رقم ١٤ باكستان

مكتبة النار - الكويت

مكتبة الآداب الرياض - السعودية

مكتبة الثقافة مكة المكرمة

مكتبة الثقافة الدوحة قطر

شرف أحمد الحافظ ص . ب . ٤١٢ المدينة المنورة

الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسري الرياض المملكة العربية السعودية

مكتبة الحرمين ص ب ٥١١ الدمام (السعودية)

مكتبة النهضة - بريدة - القصيم - المملكة العربية السعودية

مكتبة الفلاح الأحساء المملكة العربية السعودية

مكتبة الإيمان خميس مشيط المملكة العربية السعودية

الوكالات

فهرس العدد



٢٣١
٢
٢٣٢

متحف القرآن العربي

الدين بين الثبات و التطور

هذا الدين في أساسه ثابت لا يتغير ، كامل لا ينقص ، كل لا يتجرأ ،
إنه لا يحتاج إلى تطوير ولا يقبله ، ولا تؤثر فيه الأحداث الاجتماعية
والتطورات الحضارية والانقلابات الفكرية والثورات السياسية ، أيها تأثير ،
لأنه بنى على الوحي ، و تور نور كتاب الله و عاش تحت ظلال النبوة التي
لا دخل فيها للآراء الإنسانية التي تخالط و تصيب ، و التجارب العلمية التي
تنقض و تبرم ، و تهيل و تعثر ، و تنجح و تتحقق ، و الأفهام البشرية التي
تحتفل مداركها ومستوياتها ، و تتنوع مطالبها و رغباتها ، وقد صور القرآن
نفسية هذا الدين وطبيعته ، وبين أصوله وأصالته و ثباته فقال : « ومثل كلمة
طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت و فرعها في السماء توق أكلها كل حين باذن
ربها ، و مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من
قرار ، يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا و في الآخرة ،
و يضل الله الظالمين و يفعل الله ما يشاء (١) .
و قال في موضع آخر :

« وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لامبدل لكلماته وهو السميع العليم (٢) .
إنه وصف الدين بالثبات و القرار و وصف المذاهب الأخرى بالزوال

(١) الأنعام : ١١٦ .

(٢) إبراهيم : ٢٧ .

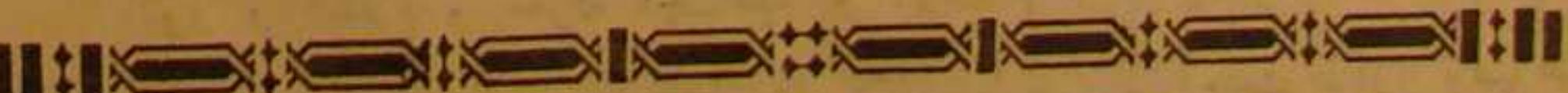
محمد الحنى
الدين بين الثبات و التطور
التوجيه الإسلامي ★

فضيلة الشيخ عبد العزيز العلي المطوع
من مسورة البقرة
فقرة العزم و التصميم
الصحف المأوية السابقة و القرآن في ميزان العلم .. الاستاذ أبو الحسن على الحنى الندوى
الدعوة الإسلامية ★

فضيلة الشيخ معين الدين أحمد الندوى
الشيوخة تعارض الطبيعة الإنسانية
نبيلة الجيش لخوض القتال
دراسات و أبحاث ★

الأستاذ السيد أبو الحسن على الحنى الندوى
تجدد علوم الشرعية : في دهد ابن تيمية
افتصادنا في ضوء الإسلام ★

مشكلة التسول كما يراها الإسلام
فضيلة الشيخ معين الدين أحمد الندوى في ذمة الله سعيد الأعظمي الندوى
نبي الخاتم
مذتمر بجماعة التبلغ في الهند



شرائعه على البلاد والعباد ، و الذب عن حوزة الشريعة الفراء ، و صيانة هذا الدين من « تحريف الغالين و اتحال المبطلين و تأويل الجاهلين » .

إنها المحافظة على نقاء الاسلام و صفاته ، و أصالته واستقراره ، وكامله و جماله ، و إزالة الغبار عن جوهره و الوفاء به و الولاء له و الثبات عليه و الاستئناف دونه و إثارة على كل ما عداه من مذاهب و ديانات و فلسفات و نظم و حركات ، رضى الناس أم سخطوا و أقبلت الدنيا أم أدبرت « درجات منه و مغفرة و رحمة و كان الله غفوراً رحيمًا (١) » .

هذا هو الأساس المقرر ثابت في الاسلام ، المفهوم المعروف عند الصحابة السكرام ، والمسجل المضمون في الحديث و القرآن ، و المطلوب من العبد المؤمن الذي لا يتغى غير وجه الله ولا يجرى وراء أهوائه و شهواته و ميوله و نزعاته و أذواقه و اتجاهاته أن يتمسك بهذا الأساس بالواجد و هي المحجة البيضاء التي ورد ذكرها في الآثار على لسان رسول الله ﷺ ، وأن يعرف — بنور من ربها و فراسة إيمانه — ذلك الخط الدقيق الذي يتغير به اتجاه المرء من جهة إلى جهة و ينحرف به — و هو لا يشعر — عن جادة الصواب ، و الصراط المستقيم الذي يسأل الله المداية إليه كلما قرأ الفاتحة في الصلاة .

و خط الانحراف خفي دقيق لا يطلع عليه إلا من قذف الله في قلبه نوره وأراد به خيراً و هي أسبابه ، و الآيات التالية تدل على بعض مواضع الزلل و القصان التي تزل عندها الأقدام و هي تدور حول الاعجاب بالقول الظاهر المزخرف ، و الاعجاب بالأموال والأولاد ، و الركون إلى الطغاة

(١) النساء : ٩٧ .

و عدم الاستقرار كنقطة فاصلة بينهما ، لأن هذه المذاهب الوضعية والصناعية و السطحية لا جذور لها في داخل الأرض و لا يحتاج في قلعها إلى جهد كبير ، وليس عندها إلا ما يبدو للناظر في ظاهر الأرض من زخرف القول غروراً ، وذلك ما عبر عنه القرآن في موضع آخر فقال : « فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً (١) » .

إذاً كيف نقول : إن الدين يتتطور مع الزمن ؟ والجواب أنه يتتطور كاتتطور الشجرة المباركة ، الحياة النامية ، مع المحافظة على أصلها و جذورها ، إن الله سبحانه لم يشبه هذ الدين في ثباته واستقراره بصخرة صماء لأنمو فيها ولامر ونها و لا حياة فيها و لا خصوبة و لا نوعية فيها و لا جمال ، لا إنه — كما وصف كتاب الله — شجرة طيبة أصلها ثابت و فرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين ياذن ربها ، وذلك دليل باهر من دلائل الاعجاز في القرآن ، واستيفاء هذا الدين جميع حاجات الإنسان في كل زمان و مكان .

فما هو الأصل الثابت في الدين الذي لا يقبل التغيير و النسخ والتبدل في أي حال من الأحوال ، ثم ما هو أكله الذي يتغنى بهذا الأصل وينمو على أساسه و يستقي الماء و الخصب بهذا الأصل الثابت و النبع الصاف العميق ؟ الأصل الثابت هو التوحيد ، و العبودية الخالصة لله ، والإيمان بالغيب والنبوة و اليوم الآخر .

أما أكله فهي الدرجات التي ينالها المؤمنون — بفضل من الله ورحمة — في الدين و التقوى ، و العلم و الحلم ، و الإيمان و الاحتساب ، و حسن البلاء في الدعوة و الاصلاح ، إنها النفحات الالهية و العلوم الربانية و المعارف الدينية ، و الجهاد و الاجتِمَاد لنشر رسالة الاسلام في الآفاق ، و إجراء

(١) النساء : ٧٦ .

٥١٣٩٥ حرم الحرام

البعث الإسلامي

والافتتاح على الدنيا أكثر من الافتتاح على الآخرة ، و الاقبال على الخلق أكثر من الاقبال على الخالق ، و الاتصال بهذا الكون أكثر من الاتصال بفاطر الكون ، والافتتان بالمناهج التي نصعها ونحبها أكثر من مناهج النبوة التي نقرأ أخبارها ، و الإيمان بالمشهود العاجل أكثر من الغائب الأجل ، و قلة الخوف من النار وقلة الرغبة في الجنة ، و التفكير في تنظيم هذه الحياة وتحسينها و إصلاحها أكثر من التفكير في الدار الآخرة و ثوابها و عقابها ، والاعتناء بالمجموعة أكثر من وحداتها ، والحرص على جمال البناءية أكثر من الحرص على صحة لبناتها ، و الاهتمام الزائد بظاهر السفينة و طلائماً أكثر من الاهتمام بألواحها ، و التوجه إلى إنقاذ البشرية كلها أكثر من إنقاذ نفوسنا و أهلاً و عشيرتنا .

يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم و أهلكم ناراً (١) .

يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتدتم إلى الله
مرجعكم جميعاً فينبشكم بما كنتم تعملون (٢) .

و يظل الإنسان ينحرف أو يتعد عن هذا الخط النبوى حتى ينسى
نفسه ، و ينسى غاية أعماله في زحمة الأحداث و الأشغال و يؤخذ بالظاهر
ويتهنى بالأشكال ، و تراه بعض الأحيان يخالف أبسط قواعد الدين و يخرج
على أصلاته و يذر الغبار على جوهره ، و يخالف مبادئه و مقوماته باسم
مصلحة الدين و حكمة الدين و فقه الدين و تحت شعار العقل العملي واستراتيجية
الدعوة بعض الحين .

ثم تتغير الموازين و المقاييس بصورة تدريجية و بحركة لا إرادية ،

(١) التحرير : ٧ . (٢) المائدة : ١٠٦ .

[٧]

والظالمين ، وتليس الإيمان بالظلم أو المأوى وغير ذلك من المفاهيم والاشارات .
١ - و من الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا و يشهد الله على ما في
قلبه و هو ألد الخصم (١) .

٢ - و إذا ذكر الله وحده اشمت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا
ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون (٢) .

٣ - و من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له المهدى و يتبع غير سبيل
المؤمنين نوله ما تولى و نصله جهنم و سامت مصيرأ (٣) .

٤ - ولا ترکنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار (٤) .

٥ - ولا تعجبك أموالهم و أولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا
و تزهق أنفسهم و هم كافرون (٥) .

٦ - ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أبغضكم (٦) .

٧ - قالوا يا موسى اجعل لنا إلهآ كلام آلهة (٧) .

٨ - الذين آمنوا ولم يلبسو إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمان وهم مهتدون (٨) .

٩ - أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ، و لا يكاد يبيّن (٩) .

إنها و أمثلها من آيات كثيرة يرخر بها القرآن تدلنا على خطوط
الانحراف ، على النقاط التي ينشأ منها الزيف ، و التغرات التي يتسلل منها
الفساد ، والموضع التي تبذّر في نفوسنا بذور الاعجاب بالجاهلية ، و مفاهيمها
و أقدارها ، و الركون إلى الظالمين أو إلى الحضارة التي تقوم على الظلم ،

(١) البقرة : ٢٠٤ . (٢) الرس : ٤٦ . (٣) النساء : ١١٦ .

(٤) هود : ١١٤ . (٥) التوبه : ٨٧ . (٦) البقرة : ٢٢١ .

(٧) الأعراف : ١٣٨ . (٨) الأنعام : ٨٣ . (٩) الرحمن : ٥٣ .

التوجيه الإسلامي

- ★ في رحاب القرآن الكريم : من سورة البقرة
- ★ قوة العزم و التصميم
- ★ الصحف الساواية السابقة و القرآن في ميزان العلم و التاريخ

و تفقد الأمانة والإيمان ، والنزاهة والصدق ، والاخلاص و النية ، والحب
والوفاء وسلطانه وحرمه في القلوب ، حتى يقال للرجل - كاجاء في الحديث -
ـ ما أعقله وما أظرفه و ما أجلده و ما في قلبه مقال حبة من خردل
من إيمان (١) ـ

إنها حالة نفسية تناقض الدعاة المثقفين و العاملين المخلصين في بعض
الحالات فيفسد عليهم إخلاصهم مع الله ، و صلتهم بالله و وفاهم لهذا الدين
و شوّقهم إلى الجنة ، و اتباعهم الكامل للشريعة و السنة ، و تعلق قلوبهم
بالصلة و الدعاء (٢) ، و تحرّقهم - تحرق المفجوع في وحيده أو في
[البقية على ص ٧٤]

(١) متفق عليه
(٢) وقد يبلغ الأمر بعض هؤلاء وتطغى عليهم الشكليات والمواعيد
و المقامات ، حتى تراهم لا يتجمسون للصلوة تمحس من سمع قول
رسول الله ﷺ « جعلت قرة عيني في الصلاة » و قوله « أرخنا
يا بلال » و قد تفوتهم الناحية التعبدية و تزكية النفس تماماً ، وقد
روى والدى رحمه الله فضة طريفة تدل على هذا الواقع الأليم ،
قال أنشت هناك جماعة لإقامة الصلاة قبل زمن يسير ، وكانت مؤلفة
من بعض « المثقفين » و عقدت الجمعة حفلتها الأولى بعد صلاة
العصر ، فلما حانت صلاة المغرب وأذن المؤذن لم يحرك ذلك ساكناً
حتى لم يتعالك هو نفسه ، وكان الوقت قد تأخر وسأل زعيم القوم
أن يختموا الحفلة و يتوجهوا للصلوة ، فقال مستغرباً أوليس هذه
الحفلة في سبيل الصلاة ؟ واشتغل القوم بدراسة الصلاة و معانيها
والضرورة إليها وتأثيرها في المجتمع المسلم - وانصرف هو وحده
إلى المسجد ، يشكو به وحزنه إلى الله .

اعتزموا الوفاء لله بعهده فالطريق واضح و الجادة معبدة ، سبها و إن دعوة القائد الجديد و الرسول المؤيد - عامة و صريحة في السير على نهج الأولين ، و الإيمان بكتاب الأنبياء السابقين ، و التصديق برسائلتهم أجمعين دون تفريق بين أحد من رسله ، قال جلت عظمته : « قولوا آمنا بالله و ما أنزل إلينا و ما أنزل إلى إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب و الأسباط و ما أوى موسى و عيسى و ما أوى النبيون من ربهم لا فرق بين أحد منهم و نحن له مسلمون » .

و ما أجمل ما يقوله الرسول ﷺ فيما معناه : « مثل و مثل الأنبياء من قبل كمثل يبت قامت حجراته و انتصبت شرفاته لو لا موضع لبني فكنت أنا اللبنة » و قوله ﷺ « إنما بعثت لأنتم مكارم الأخلاق » ، فرسالة محمد هي رسالة إبراهيم و إسماعيل و يوسف و موسى و عيسى و زيادة ، و الإيمان برسالة كل هؤلاء الأنبياء هي في الوقت نفسه وفاء لله بعهده ، والوفاء بعهد الله يستتبعه الوفاء من الله بكل ما وعد « و أوفوا بعهدي أوف بعهدمكم و إبأي فارهبون » .

وقد تجدد الوعد لأتيا خاتم رسائل الله ﷺ بقوله سبحانه : وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم و ليكن لهم الذي ارتضى و ليبدلهم من بعد خوفهم أمّا ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً و من كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » .

و حين يتذكر اليهود لرسالة القائد الأكرم . . . الرسول الأعظم إنما يحكمون على أنفسهم بالحرمان من وفاء الله لهم ، و يذيرون ظهورهم لشرق النور يمحو عن الدنيا ظلمات الجهلة و العناد و الصلف ، ثم يتوبون أئمهم

في رحاب القرآن الكريم :

السادسة

من سورة البقرة

(الخلفة)

فضيلة الشيخ الأستاذ عبد العزيز العلي المطوع

« يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم و أوفوا بعهدي أوف بعهدمكم و إبأي فارهبون . و آمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم و لا تكونوا أول كافر به و لا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً و إبأي فاتقوه » ، الآياتان ٤٠ و ٤١ من سورة البقرة .

إن الله أخذ على بني إسرائيل عهداً فاذا وفوا به كان حقاً عليه سبحانه أن ينحهم من سلطانه ، و أن يمكن لهم في أرضه ، و في مكان القيادة من خلقه ، و إن من الوفاء بهذا العهد الإيمان بالقرآن الكريم المنزلي على خاتم المرسلين و المصدق لما معهم من التوراة ، ثم دعاهم الله سبحانه بعد ذلك ألا يكونوا أول كافر به و ألا يشتروا بآياته ثمناً قليلاً و أن يتقوه في ذلك حق تقاته .

ثم تلت هاتين الآيتين آيات أخرى تتضمن من الله أوامر و نواهي يقتضيها الوفاء بالعهد من بني إسرائيل ، و منها أن يكونوا أتباعاً لنبي جديد ختمت به سلسلة الأنبياء والرسل و ملكه الله سبحانه زمام القيادة على جميع الناس ، وهو دعوة أب الأنبياء إبراهيم عليه صلاة الله و سلامه ، و امتداد لرسالته فإذا

قادرون على حجب الشمس عن الناس بأكفهم ، و يبتلون غيضاً و حقداً حين يرون الملايين تلف حول نور الدعوة الحمدية وهم وحدهم في ضلال وتهي ينظرون خلقهم فإذا بالقافلة تسير و هم عنها مبعدون .

عهد الله لابراهيم و الصالح من ذريته :

و قد ذكر الله سبحانه و تعالى في الآية ١٢٤ من هذه السورة صيغة العهد الذي بين الله وبين خليله إبراهيم أب الأنبياء عليهم صلاة الله وسلامه بعد ذكر آيات كثيرة حول بني إسرائيل قبل الآية ١٢٤ : « وإذ أتى إبراهيم ربه بكلمات فأنبهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال و من ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين » (الآية ١٢٤ من سورة البقرة) .

و من ذلك يظهر أن الشريعة اليهودية قبل الإسلام والمسيحية - كانت أمة توحيد يقودها أنبياء ورسل ، و قد وفوا لله بعده له سبحانه ، ففضلوا بذلك على العالمين وكانوا أولى بيت المقدس من غيرهم من أهل الشرك والضلالة حين ذلك و لكن اليهود شغلوا فيما بعد بعنصرتهم ، و استجابوا لشهواتهم و غلت عليهم شهواتهم ، و فسقوا و ظللو أنفسهم ، و انحرفو عن جادة العهد الإلهي خرموا وفاة الله بهمده لابراهيم و الصالحين من ذريته لعدم جدارتهم و أهليتهم لهذا العهد كما قال جل شأنه : « لا ينال عهدي الظالمين » و قال سبحانه في موضع آخر من كتابه : « و إذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذوني وقد تعلمون أنى رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدى القوم الفاسقين » الآية ٥ من سورة الصف .

على أن الآيات بعد الآية ١٢٤ من سورة البقرة تسبّب بتحويل القبلة من بيت المقدس بالشام إلى بيت الله العتيق الذي جدد بناء إبراهيم و إسماعيل

ما يؤيد ما ذهبنا إليه من أن العهد قائم إلى يوم القيمة غير أنه نقل من يد أبناء إسحاق إلى أبناء إسماعيل ما داموا على العهد قائمين ، و معنى ذلك نقل القيادة إلى من هم أحق بها وأهلها سابق الصحب والأتباع من بعدهم متسلكين بتعاليم القائد الأعلى وخاتم المرسلين إلى يوم القيمة ، وقد ربط الله سبحانه بين القビتين ياسرائ - خاتم رسـل الله و باعث ملة إبراهيم - إلى المسجد الأقصى ، و بهذا انقطعت صلة اليهود ببيت المقدس .

فإذا حاول اليهود اليوم التشبث ببيت المقدس ومنعوا لهذا التشبث جبال الارتباط به فهي جبال أوهى من نسيج الغنكبوت لأنهم تکروا لعهد الله و نقضوا ميثاقه و خالفوا كل ما جاء به ، مما أدى إلى وضع العهد في عنق آخرين كما تقدم وقد ذكر القرآن في هذا المجال آيات كثيرة منها الآيات ١٢٥ إلى ١٣٢ من سورة البقرة : « و إذ جعلنا الـيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى و عهـدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيـت للطائفـين و العـاكـفين و الرـكـع السـجـود (١٢٥) و إذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بـلـدـا آمنـا و اـرـزـقـ أـهـلـهـ منـ الثـرـاتـ منـ آـمـنـ مـنـهـ بالـهـ وـ الـيـوـمـ الـآـخـرـ ، قال وـمـنـ كـفـرـ فـأـمـتـعـهـ قـلـلـاـ ثـمـ أـضـطـرـهـ إـلـىـ عـذـابـ النـارـ وـ بـئـسـ المصـيرـ (١٢٦) وـ إذـ يـرـفـعـ إـبـرـاهـيمـ القـوـادـعـ مـنـ الـدـيـنـ وـ إـسـمـاعـيلـ رـبـنـاـ تـقـبـلـ مـنـ إـنـكـ أـنـ السـمـيعـ العـالـمـ (١٢٧) رـبـنـاـ وـ اـجـعـلـنـاـ مـسـلـيـنـ لـكـ وـ مـنـ ذـرـيـتـاـ أـمـةـ مـسـلـةـ لـكـ ، وـأـنـاـ مـنـاسـكـنـاـ وـ تـبـ عـلـيـنـاـ إـنـكـ أـنـ التـوـابـ الرـحـيمـ ، رـبـنـاـ وـ اـبـعـثـ فـيـهـ رـسـوـلـاـ مـنـهـ يـتـلـوـ عـلـيـهـ آـيـاتـكـ وـ يـعـلـمـهـ الـكـتـابـ وـ الـحـكـمـ وـ يـزـكـيـهـ إـنـكـ أـنـ الـعـزـيزـ الـحـكـمـ (١٢٩) وـمـنـ يـرـغـبـ عـنـ مـلـةـ إـبـرـاهـيمـ إـلـاـ مـنـ سـفـهـ نـفـسـهـ وـلـقـدـ اـصـطـفـيـنـاـ فـيـ الـدـنـيـاـ وـإـنـهـ فـيـ الـآـخـرـةـ لـمـ الـصـالـحـينـ (١٣٠) إذـ قـالـ لـهـ رـبـهـ أـسـلـمـ قـالـ أـسـلـتـ

رب العالمين (١٣١) و وصى بها إبراهيم بنه و يعقوب يا بنى إن الله اصطف لك الدين فلا تموتن إلا و أتتم مسلمون (١٣٢) .

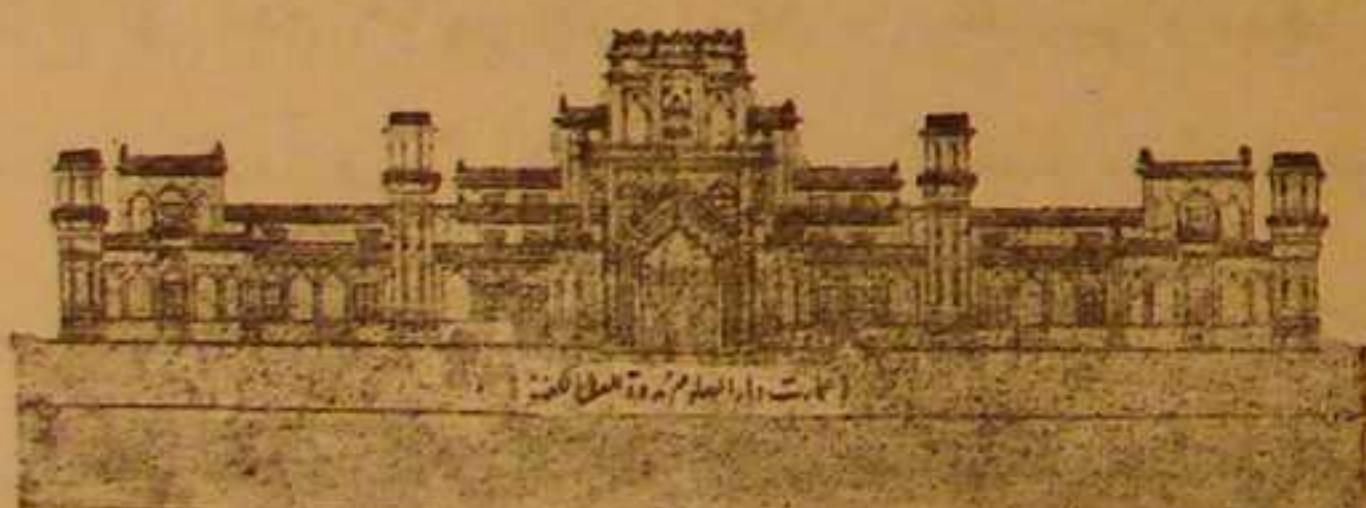
إن الله سبحانه قد جعل البيت مثابة للناس و أمنا ، و عهد إلى إبراهيم و ولده إسماعيل بتجديد بنائه و تطهيره من شوائب الشرك للطائفين والعاكفين و الركع و السجود .

مقام إبراهيم :

وقد تقدم من كتاب الله قوله سبحانه في الآية ١٢٥ من سورة البقرة و لا بد لنا من وقفة أمام مقام إبراهيم و عرض ما يظهر من معنى الآية و ذلك أن الله سبحانه قد قال : « و اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى » .

و لم يقل و اتخذوا مقام إبراهيم مصلى بدون ذكر « من » - ولو قالها سبحانه لأمكن إقامة الصلاة حول مقام إبراهيم كا يصلح حول الكعبة ، ومن هنا كان فضل التعبير الكريم « بن » الذي يفيد الابتداء و يكون المعنى - فيما يظهر - ابتدأوا الصلاة من مقام إبراهيم ، سواء أكانت من إمام في صلاة الجماعة أو كانت منفردة فرضاً أو نفلاً ، على أن يترك ما بين المقام و بين البيت الحرام لطواف الطائفين و منع ما عداهم من يتخذون من طريق الطواف - جالس للتعبد أو التسول ، بحيث يمكن أن يتم الطواف بسهولة و يسر ، دون أن يتعرّض الطائفون بأجسام الجالسين و لا يكونوا حجر عثرة في سليمهم .

و قد ختم الله الآية بقوله إبراهيم و إسماعيل : « أن طهرا بيته للطائفين و العاكفين و الركع السجود » و بهذا يكون سبحانه قد أعد بيته و مسجده الحرام ليكون مثابة للناس وأمنا و يكون البيت محوراً تطوف به قلوب الملايين



يتبع

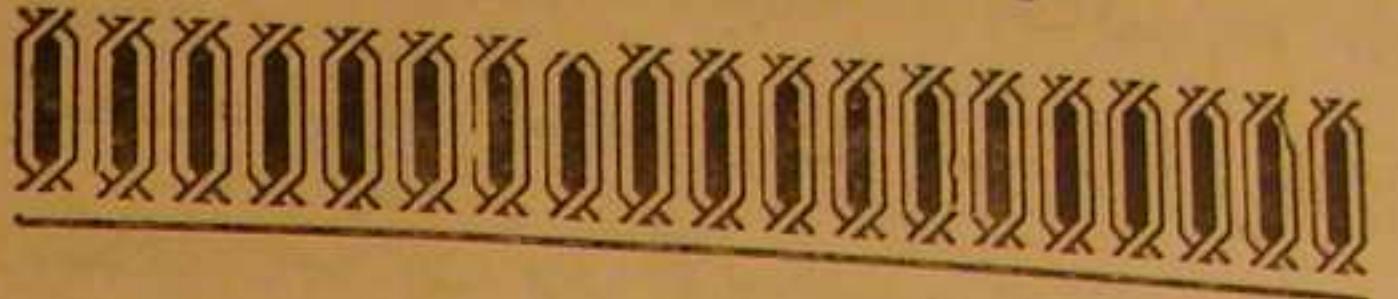
الحمدية تكامل شخصيتها ونضجها وإشعاعها حتى تصل إلى درجة التأثير والتوجيه وإنارة الاعجاب ف تكون جديرة باستلام القيادة العالمية لأن تلك الرسالة أخرجتها من نطاق المادة والأنانية وارتفعت بها إلى مستوى اللاقى بها بين الأمم من كونها مرشدة وقائدة للإنسانية.

إن رسالتهم ليست نظرية ولا أمنية وإنما هي فعلية يجب أن ينطبع بها كل فرد وينفعل بها وتحقيق صورتها وحقيقة فيه كما تتحقق البطولة في الأبطال - لا في كل ما يتمنى البطولة - و على هذا فن واجب الأمة الإسلامية التي تكرر العهد مع ربها بـ (إياك نعبد وإياك نستعين) أن لا تتنازل عن مرتبتها ومكانتها الأصلية التي اصطفاها الله لها بل تصر كل الاصرار على أنها هي مهما اجتاحتها الظروف وغضتها النوايب نتيجة تقصيرها في حسب الله ، إنها إذا انحرفت عن الرسالة الحمدية وتلاشت عزيمتها عن تحقيق خيريتها بين الأمم فانما ذلك لمرض في قلوبها يجب عليها علاجه أو يزيدها الله مرضًا ويسلط عليها أحسن أعدائها .

فكرة الرسالة والإيمان الصادق بها تقودان الأمة حتماً إلى تكوين نظرة عميقه للأرضي وعلاقته بالحاضر والمستقبل بخلاف المذاهب الأرضية المعاصرة فانها تتنكر للأرضي وتشوه تاريخه بالزور والبهتان كأنها نظريات تحصر كل شعب يمكنه وتجعله يتغنى بكيانه دون غيره من الأمة أو شعوبها الآخرين فتفكيراته ضيقة في حدود مصطنعة من أساليب الكفرة الغرابة الفجرة و يحصر جلب النفع عليها دون مبالغة بغيرها .

و هذه أشنع عودة إلى الجاهليات الأولى ، أما رسالتها السماوية الحالدة فقد حققت لهم وحدة إسلامية أكبر مما ينشدونه من وحدة عربية مئات

قوة العزم و التصميم



فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسري

المسلون الذين يكررون عبدهم مع الله سبحانه و تعالى بـ (إياك نعبد وإياك نستعين) يجب أن تكون عندهم الغاية القصوى من غليان النفس وعمق الشعور الصادق ما يجعلهم يفتحون أنفسهم و يسررون أغوارها و دخائهما قبل فتح الأرض و يحكمون ذاتهم و يسيطرون على شهواتهم و يملكون إرادتهم قبل أن يحكموا الأمم و يسيطرؤا عليها و هم مؤمنون غاية الإيمان و مقتنعون غاية الاقتناع بررسالتهم السماوية التي اصطفاهم الله لهم من بين الأمم و مستيقنون بأن كل إصلاح أو تقدم حياتهم ليس منبثقاً من عقيدتهم ومندفعاً من بضائعهم السماوية فإنه ليس تقدماً و لا إصلاحاً بالمعنى الصحيح وإنما هو تعلل بشئ سطحي صغير بسيط تخدع به دهاءهم كنجاح موهم بعجز عن توحيدهم ورفعهم إلى المستوى الذي ناله آجدادهم السلف الذين غلت الروح على مجتمعاتهم دون المادة وغلب الجوهر على المظاهر، والذي كانت به حياتهم صدى للصوت السماوي الذي سمعوه بواسطة نبيهم محمد عليه السلام .

ذلك الوحي المبارك الذي هو روح يقوى أخلاقهم كلما لانت و يحفز نفوسهم كلما طفت على السطح لأن الله العليم الحكيم جعل في رسالته للأمة

المرات حيث انصرت فيها جميع العناصر والأمم والشعوب وانطبعوا بطبع
الاسلام عن حب ورغبة .

إن رسالة الله لل المسلمين تجعلهم مرتبطين بالسماء حاملين بضاعة السماء يملكونها
الأرض و يورثها الله إياهم وكلما تذكروا عن بضاعة السماء و تملقوها بالبضائع
الأرضية الملقطة من المزابل اليهودية خسروا من الأرض بقدر ما أضعواه من
بضاعة السماء ولا يعود لهم ما خسروه إلا بعودتهم لحمل بضاعة السماء وتشوّقهم
إلى رب السماء ليذلّوا و عده في الدنيا والآخرة (وإن يخلف الله وعده)
إنهم كلما اقتصرت على طلب الأرض خسرواها و خسروا السماء .

فعلى المجتمع الاسلامي أن يجاهد نفسه ويغالبها ويراغم شهواتها وشياطينها
ليتحقق شخصيته التي يوجب الله عليه أن تكون أهلاً للجهاد الخارجي والزحف
المقدس وأن يدفع المؤمن الذي طلب الله منه في آية شرائه من المؤمنين أنفسهم
وأموالهم، ذلك المؤمن الغالي الذي يتمحقق بذلك ما هو أغلى منه وأعلى في الدنيا
والآخرة . إن المجتمع الاسلامي يعيش في مستوى هابط من الروح قد سبب
فورةً و خمولًا يجب أن يعالج باطلاقه إيمانية روحية عميقه تحدث حرارة لاهبة
تطهر النفوس و تفتح المواهب و تفجر الطاقات و البطولات ، حرارة جرة
الإيمان الصحيحة المشتعلة من حب الله و تعظيمه والغيرة لدينه والغضب لحرماته .

فيجب على كل مسلم مؤمن أن يغوص في أعماق نفسه و يحاسبها على
ما فرط في جنب الله فيستأنف حياته من جديد بالعودة الصحيحة إلى الله
شامخاً برأسه إلى بضاعة السماء رافضاً كل بضاعة أرضية و متزفعاً عنها ، إذ
أن المسلمين ما داموا غافلين عن الله فهم ناسون أنفسهم أو جاهلون بها كلية
لأن من عرف نفسه معرفة حقيقة عرف قيمتها العظيمة التي لا تعدّها الدنيا

جميعها ثنتان فلم يستر خصمتها بالله و اللعب و لم يبعها بشئ من لذائذ الدنيا وزينة الدنيا
بحيث يكون تابعاً لدجال أو طاغوت أو عبداً لأى مخلوق مثله .

و ليس شئ يعرف الانسان بنفسه سوى صدق اليمان الذي يذهب
الروح و يفتح الفكر و يقوى المشاعر و يهز الحلق و يقومه و يحصل من
جرائه معرفة الحق والاخلاص له والصدق في تحقيقه بالعمل الذائب والتضحية
الصحيحة التي بسببها يكون لوجود صاحبه معنى صحيح حق في الحياة ، فإن كل
تساهل و انحراف في حمل الرسالة و تطبيق الشريعة يهدى الأمة بالتجزئة و التنازع
و يعطي أعداء الله سلاحاً عليهم .

ذلك أن رسالة الدين رحمة من الله ترفع الفلم و الفساد عن أهل الأرض
و تحررهم من كل استعباد تريده لهم الدجالجة و الطواغيت ، وإنما فسدت
علماء اليهود و النصارى و أحدثوا في دين الله ما أحدثوه صارت مجتمعاتهم في
حالة سيئة من الظلم و الفساد لأنهم يضفون أثواب القدانة على الظللة والانتهازيين
و كل من فسد من علماء المسلمين ففيه شبه من أولئك إلا أنه مفترٌ مفروم .
و لهذا كان من عيوب المسلمين فضيحة الفاسد و إباحة غيبة و وحشية
عزله عن كل منصب ، بخلاف أولئك فالإسلام يحرم السلبية من كل ناحية و يأمر
بمزجها بالإيجاب في كل ناحية من نواحي الحياة لأن ذلك هو سنة الله الكونية
و فساد العداء و العباد في الدين اليهودي والنصراني المفترى على الله هو سبب
ثورة أهل (أوروبا) على الدين المكذوب المفترى على الله لما فيه من تعطيل
العقل و حرمان العلم و النور و مقاومة الابداع و الاختراع و تشجيع الظلم
و الاستعباد .

فعلى المسلمين أن يصدقوها في عبدهم الذي يكررونها مع الله بـ (إياك)

نبذ و إياك نستعين) بتطبيق حكم الله فيما أنزل بأن يطبقوه على أنفسهم أولاً ثم على سائر مجتمعاتهم طالبين رضا الله في ذلك لتجفهم حسنة الله إذا زحفوا به على غيرهم كاً أوجب الله ذلك عليهم و توعدهم بأشد العقوبات الدنيوية و الأخرى إن هم تخلفوا عن هذا الواجب المقدس .

و لا يشك عاقل صريح في أن معيار الإنسان في صدقه و إخلاصه هو عمله و ليست أقواله أو كتاباته المعيار لذلك بل يستطيع أن يزعم بلسانه أو بكتابته أنه مؤمن مخلص و أن الإيمان بالقلب أو أن الإيمان هو الحب و لكن أفعاله وجهاده هي المعبرة الصادقة عما في ضميره من صدق وإخلاص أو دجل و رياه ، فهن فضل مراد الله على مراد نفسه و فدی الرسالة الحمدية بروحه و ماله فقد برحت أعماله على ما في ضميره من صدق مع الله و إخلاص له و سجدة صحيحة لله و لرسوله ، ومن عكس الأمر فقد كشفت لنا أعماله عما في قلبه من دجل و نفاق ، و إنه ليس من المؤمنين بعهد الله ، عياذاً بالله من ذلك .

الصحف السماوية السابقة والقرآن في ميزان العلم والتاريخ

الأستاذ السيد أبوالحسن على الحسيني الندوى

ما زالت الصحف السماوية السابقة للقرآن عرضة للتحريف و التبديل و الضياع و التلف فأن الله سبحانه و تعالى لم يتکفل بحفظها وبقائهما ، بل أسد ذلك إلى علمائها وحملتها و لم تحتاج إليها البشرية ، أو الأمم التي خوطبت بها ، إلا لفترة من الزمان ، فقال : « إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النيون الذين أسلموا للذين هادوا و الربانيون و الأحجار ، بما استحفظوا من كتاب الله ، و كانوا عليه شهداء » (١) .

و قد ثبت ذلك تاريخياً ، و تواتر ، و أقرت به الأمم و الطوائف ، التي نزلت فيها هذه الصحف .

وقد استهدفت صحف العهد القديم للتلف و الاحراق والا بادة وبصورة واضحة و باتفاق المؤرخين اليهود ثلاثة مرات في التاريخ .

المرة الأولى حين زحف بختنصر (Nabuchodonosor) (٦٠٥-٥٦٢ ق.م) ملك بابل على اليهود سنة ٥٨٦ ق.م وأشعل النيران في بيت المقدس الذي حفظ فيه النبي سليمان عليه السلام لوح التوراة وبقية ما ترك آل موسى وآل هارون ، و أخذ من سلم من القتل من اليهود أسيراً إلى بابل حيث مكثوا فيه خمسين سنة ، و قد أعاد « عزرا » الصحف الخمس الأولى التي تسمى

(١) المائدة : ٤٤ .



« إن الأخبار اليهودية وإن كانت تلح على أن صحف العهد القديم من تأليف « الأبطال » ، أو الشخصيات التي تتحدث عنها هذه الصحف ، وذلك لا يبعد عن الصواب ، ولكنهم لا يترجون في الاقرار بأن بعض هذه الصحف تناولها التعديل وزيادة في العهود المتأخرة (١) » .

و جاء في دائرة المعارف اليهودية ما معناه :

« إن الكتب الخمسة الأولى من الكتاب المقدس (العهد القديم) كما تقول الأخبار اليهودية القديمة من تأليف النبي موسى ، باستثناء ثمانين آيات الأخيرة جاء فيها الحديث عن موت موسى ، وما زال الريون يعنون بتناقضات واختلافات وردت في هذه الصحف ، وما زالوا يصلحونها بحكمتهم ولباقيهم (٢) » .

و تزيد هذه الموسوعة السخيرة : « إن اسفيونزا (Spinoza) يقول :

« إن الكتب الخمسة الأولى من العهد القديم ليست من تأليف موسى ، بل هي من تأليف عزرا (٣) ، وأن آخر ما وصل إليه البحث العلمي ، هو أن هذه الكتب (الخمسة الأولى) ترجع إلى ثمانية وعشرين (٢٨) مصدراً استقيت و استفیدت منها هذه الكتب (٤) » .

أما أمر الأنجليل الأربع التي تسمى « العهد الجديد » فأمرها أغرب من صحف العهد القديم ، فإنه يكتنف تدوينها و مؤلفها الشئ الكثير من الغموض والالتباس والاضطراب ، وبينها وبين السيد المسيح (عليه الصلة

(١) Vellentin's one Volume Jewish Encyclopaedia London P. 93.

(٢) Jewish Encyclopaedia V. 9 P. 589.

(٣) ص ٥٩٠ ملقط من تفسير مولانا عبد الماجد الدربيادى بالإنجليزية .

(٤) نفس المصدر ص ٥٩٠ .

، توراة ، بحفظه ، و قيد الحوادث في أسلوب تاريخي ، ثم ضم إليها نصباً السلسة الثانية من الكتب ، مضيقاً إليها زبور داود .

والمرة الثانية حين كر انطيوخوس (Antiochus) الرابع الملقب أبي قانس ملك انطاكية اليوناني على بيت المقدس (سنة ١٦٨ ق. م.) وأحرق الصحف المقدسة ، و منع من تلاوة التوراة ، و ممارسة الشعائر اليهودية رسميًّا ، ونشط يهودا المكابي في جمع الصحف المقدسة و ترتيبها ، و ضم إليها السلسلة الثالثة من صحف « العهد القديم » .

و المرة الثالثة حين هجم تيطس (Titus) الامبراطور الروماني (٤٠ - ٨١) على بيت المقدس في ٧ من سبتمبر سنة ٧٠ م ، و دمره بما فيه من هيكل سليمان و حوله إلى أنقاض وخرائب ، واستولى على الصحف المقدسة ، ونقلها إلى بلاطه في روما تذكاراً للفتح ، وأجل اليهود من القدس ، واستعمروا حول المدينة (١) .

و مقاييس حفظ الصحف المنسوبة إلى الأنبياء المستفادة من الوحي ، و بقائهما على أصالتها ، و نصوصها ، و وجهة نظر أصحابها إليها ، تختلف عن مقاييس المسلمين ، وعقيدتهم عن الكتاب المنزل من الله تعالى على محمد ﷺ ، اختلافاً كبيراً ، فلا يمنع دخول بعض زيادات و تعديلات في هذه الكتب عن إضافتها إلى الوحي ، و تسميتها بالصحف السماوية عند اليهود ، و قد لا يترجون من إضافة تأليفها إلى الأنبياء ، فقد جاء في مختصر دائرة المعارف اليهودية ما يلى :

(١) راجع كتب تاريخ الصحف المقدسة . و راجع دائرة المعارف اليهودية . وقد وردت إشارات إلى هذه الحوادث في صحيفة نصباً مكابيين و غيرها .

إلينا ، و هي في الحقيقة بكتب السير و التاريخ ، و مجاميع الأقوال و المرويات
— إذا لم نقل قصص المولد الكثيرة المنتشرة بين المسلمين — أشبه منها بكتب
الحديث عند المسلمين ، لذلك كان من الخطأ المقارنة بين هذه الصحف و القرآن ،
فإن المقارنة إنما تكون بين ما كان من جنس واحد ، و على درجة واحدة .
و قد أحسن العالم المستشرق المهدى المسيو «ابن دينه» الفرنسي في وصف
هذه الأنجليل ، و تحديد مكانها العلمية و التاريخية ، و كان دقيقاً في هذا
الوصف ، يقول :

«أما أن الله سبحانه قد أوحى الانجيل إلى عيسى بلغه ، و لغة قومه ،
فالذى لا شك فيه أن هذا الانجيل قد ضاع ، و اندر و لم يبق له أثر ،
أو أنه أيد ؟

و لهذا قد جعلوا مكانه «تأليفات أربع» مشكوكاً في صحتها ، و في
نسبتها التاريخية ، كما أنها مكتوبة باللغة اليونانية ، و هي لغة لا تتفق طبيعتها
مع لغة عيسى الأصلية التي هي لغة سامية ، لذلك كانت سلة السماء بهذه الأنجليل
اليونانية أضعف بكثير من صلتها بوراة اليهود ، و قرآن العرب (١)» .

ثم هنالك شواهد داخلية من أغلاط تاريخية صريحة ، و تناقضات
واضحة ، و أمور مستحيلة ينكرها العقل ، و نسبة أشياء إلى الله لا تليق بجلاله
و كماله ، و لا تتفق مع صفاته التي اتفقت عليها الأديان السماوية و العقول
السليمة ، و مطاعن في أنبياء الله المكرمين ، و اتهامهم بأفعال وأخلاق يترفع
عنها أوساط الناس ، إلى غير ذلك من الشواهد الجلبة الكثيرة العدد التي
تدل على الدس و الاحراق ، و التغير في كتب العهدين القديم و الجديد التي

(١) نقلًا من كتاب «أضواع على المسيحية» ، ص: ٥٢ - ٥٣ .

والسلام) هوة عميقة واسعة ، ليس في إمكان باحث أو مؤرخ ردمها أو إقامة
جسر عليها (١) ، وقد تعرضت للتحريف و التطوير ، والتعديل والتحسين في
جامع دينية ، و فترات زمانية عديدة ، و بعد ذلك كله ، فإنها بكتب السيرة
و الأخبار و الحكايات و الآثار أشبه منها بالكتب المنزلة من الله ، المبنية
على الوحي و الأهام ، يعرف ذلك بداعه من أجل النظر فيها و تصفحها ،
و من قرأ الكتاب التي ألفت في تاريخها ، و الأدوار التي مررت بها (٢) ،
وهي لا تاهض كتب الحديث ، و دوافين السنة عند المسلمين ، من الطبقة
الثانية و الثالثة — فضلاً عن الصلاح — فأن هذه الكتب امتازت باتصال
السند من أصحابها إلى رسول الله عليه السلام ، و الحديث الصحيح عند علماء المسلمين
ما روی بنقل عدل ، تام الضبط ، متصل السند ، غير معلم ولا شاذ (٣) ،
أما الأنجليل فقد تجردت عن جميع أنواع السند ، فليس هنالك سند متصل
من عصرنا إلى مدونتها ، و لا من مدونتها إلى سيدنا عيسى بن مرريم .

و هذا كله زيادة على أن هذه الصحف التي بأيدينا اليوم ليست باللغة
التي نزلت فيها ، و كان يتكلّم بها المسيح (عليه الصلاة والسلام) و قومه ،
بل نقلت من لغة إلى لغة ، و تناولتها أيدي المترجمين الناقلين حتى وصلت

(١) راجع للتفصيل و تعيين عهود تأليفها و ترتيبها الزمني و في شأن مصادرها و المتابع التي
استقيت معلوماتها و موادها منها كتاب تاريخ الديانات (History of Religions)
مازلفها الفاضل E. O. Jones أستاذ تاريخ الديانات في جامعة لندن . طبع لندن سنة
١٩٥٦ ص ١٧٨ - ١٨٠ .

(٢) أقرأ الكتب التي ألفت في تاريخ العهد الجديد في اللغات الأوروبية بأقلام العلامة المسيحيين
و أقرأ خلاصتها في كتاب «أضواع على المسيحية» ، مألفة الفاضل الأستاذ متولي يوسف
شلبي ، نشر الدار الكوربية .

(٣) راجع للتفصيل ومعرفة أقسام الحديث وشروطها كتب أصول الحديث ومصطلح أهل الازر .

عهدنا إلا خمس مائة سنة ، أما بقية ما اشتغلت عليه « ويدا » فهي موغلة في قدم يصعب معه الجزم بشئ ، أما ما كان أعرق منه في القدم فن المستحيل إبداء الرأي فيه (١) .

أما « أوستا » صحيفة المحبس الفرس ، فلا يختلف شأنها عن شأن « ويدا » ، و لعل نصيتها من البحث العلى ، و القيمة التاريخية أقل ، و الشبهات حولها أقوى ، يقول « Robert. H. Pfeiffer » رئيس فرع اللغات السامية في جامعة هارورد ، في دائرة معارف الديانات ، و هو يتحدث عن « أوستا » .

إن أصل « أوستا » كما تقول الحكايات كان جاماً للعلوم ، وقد أباد معظم الاسكندر ، و قد ألف كتاب في القرن الثالث المسيحي بما تبقى من الكتاب كان يحتوى على ٢١ جزماً تسمى « Nask » و لم يبق من هذه الأجزاء كلها إلا جزء واحد يسمى (Vendidad) وقد نقل جزءه يتصل بالعبادات من هذا الكتاب إلى الهند بعد القرن التاسع المسيحي ، و هو يتألف من خمسة أجزاء تسمى (Yasna) بما فيها (Gatha) و (Vespered) و (Vendidid) و (Khorda Avasta) (٢) .

أما القرآن الكريم الذي كان آخر الكتب المنزلة من الله ، و مصدقاً لها ، و مهيناً عليها ، و عليه الاعتماد في هداية البشر ، وربط الخلق بالخلق ، و الدعوة إلى الله بعدبعثة محمدية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ،

★ و أن يطبقوا بينها و بين روح العصر و ثقافته . وهذا نفس ما وقع مع الهد القديم والجديد . وقد جنى ذلك على هذه الصحف جنابة كبيرة . فقد ثبت بطلان النظريات والشائعات عليها . فقدت « الكتب المقدسة » قيمتها ومكانتها .

(١) The Religions of India . Delhi 1969 p . 4-5 .

(٢) دائرة معارف الديانات طبع نيويورك ١٩٤٥ م ص: ٤٩ .

تسمى بجموعاً بياتيل « Bible » أو الكتاب المقدس (١) .
أما صحف الديانات الأخرى التي تعتبر أعرق في القدم ، و فيها صحف الهند العتيقة التي تدين بها الشعوب الهندية الآرية وتعتقد أنها نزلت من السماء ، و أنها من كلام فاطر الكون و وجيه فقد أحاطت بها حالات من الظلم و الغموض ، و الجهل و الأساطير ، و جعلت العهود التي نزلت فيها و الأشخاص الذين خططوا بها ، و دخل في صلتها الشئ الكثير من الزيادات ، و التفسيرات ، و اندرست اللغات و اللهجات التي نزلت بها ، حتى أصبح الجزم بتحديد عدها ، و الوصول إلى حقيقتها ، و مقاصدها ، و التمييز بين أصولها و شروحها ، شبه المستحيل ، يقول أحد كبار العلماء المختصين في تاريخ هذه الصحف ، و هو الموسيو « A. Barth » عضو الجمع الآسيوي الملكي في باريس « The Societe - Asiatique of Paris » و هو يتكلم عن « ويدا » في كتابه « ديانات الهند » :

« إن هذه الصحف لا تدعى أنها من الله ، و لا تحاول أن تخفي بطريقة صناعية - عمرها ، لقد دخل الشئ الكثير من الزيادات والتحريفات في صلب هذه الكتب وصيغها ، وقد كان الدافع إلى ذلك الاخلاص وحسن النية (١) ولكن رغم ذلك من الصعب تحديد عمرها ، أو تقديره على الأقل ، إن أجزاء برهمنا « Brahmana » التي كتبت في آخر ما كتب لا تقدم بدأة

(١) أفرأ كتاب « إظهار الحق » الغريب في موضوعه . للعلامة رحمة الله الكيراني الهندي المتوفى سنة (١٣٠٨هـ) المدفون في مكة المكرمة .

و قد عد المؤلف ما وقع في الكتاب المقدس من اختلاف لفظي بلغ ١٢٢ اختلافاً . و ما عثر عليه من أغلاط لا تقبل التأويل بلغ عددها إلى ١٠٨ . راجع الكتاب .

(٢) لله يعنى أن الذين فعلوا ذلك كان عرضهم أن يقبل عليها الناس قراءة و مطالعة ★

محرم الحرام ١٣٩٤

الغرام والهياق وكثير عدد حفاظه فيهم من أقدم العصور، فقد استشهد في وقعة بئر معونة التي كانت سنة ثلث للهجرة سبعون رجلاً من المسلمين يقال لهم القراء (١)، وهكذا لم يزد عدد الحفاظ بتزايد بتزايد عدد المسلمين، وكثرة النوعي إلى الحفظ وتنوعها، حتى وصل إلى حد يقضى منه العجب في مدينة صغيرة، وفي كل مجتمع إسلامي، ويتناقله المسلمون صدرًا من صدر، ولساناً من لسان، ويبلغ منهم الاتقان لحفظه، والدقة في صحته، والبراعة في استحضاره، والتنافس فيه، والشغف بقراءته والتعدد به إلى حد لا يصدقه من غير المسلمين إلا من عشر المسلمين وعاش معهم، وعرف عوائدهم، وكان عدد هؤلاء الحفاظ يفوق الامحصاء في كل زمان، فضلاً عن هذا الزمان الذي لا يقل عددهم عن ملايين.

وقد ألم الله خلفاء رسول الله عليه السلام بالحق، والقائمين بأمر المسلمين حين استحر القتل يوم اليمامة بالقراء، تخشوا أن يكون في استشهاد القراء في المواطن الأخرى ضرر على بقاء القرآن إن كان جل الاعتماد على الحفظ، وقد بدا ذلك لعمر الذي كان يسبق زملاء الصحابة في التعرف لحاجات المسلمين ومصالحهم، وكان يتوارد خاطره بمقاصد التشريع، فاقتصر على أبي بكر وهو خليفة رسول الله عليه السلام يومئذ وخليفة المسلمين، جمع القرآن وكتابه، وكان مفرقاً في الرقاع والعسب، واللخاف (٢)، وصدور الرجال، وشرح الله صدر أبي بكر لهذا الأمر، وكلف زيد بن ثابت لاختصاصه

(١) راجع البداية والنهاية ج: ٤ ص ٧١. وحديث بئر معونة حديث مشهور رواه البخاري و مسلم وأصحاب السنن.

(٢) العسب جمع عيب أبي جربدة من الخل وهي السفة ما لا ينت على الخوص . واللخاف جمع لغة : حجارة يصنع دفائق .

فأنه مختلف عن شأن جميع الكتب السماوية كل الاختلاف ، فقد تكفل الله بحفظه وسلامته من كل تحريف وتبديل ، وزيادة ونقص ، فقال : « وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تهزيل من حكيم حميد (١) »، وكذلك تكفل الله بسلامته من مسخ و عبث ، ومحو من الذكرة ، وارتفاع عن صدور الناس ، أو تعرض لنكبة تقضى عليه أو تبيده ، كما وقع أكثر من مرة للتوراة ، فقال : « إنا نحي نزلنا الذكر و إنا له حافظون (٢) »، وهي السفالة بحفظه وبقائه ، وانتشاره وازدهاره وبقائه ، متلوأً ومدروساً ومفهوماً ، وغير مهجور قد اقطع العمل به بتاتاً وتنوسي ، بكل هذا - من معان و لوازم و آفاق - مما تطوى عليه كلمة « الحفظ » العربية البلغة .

ولما قضى الله ببقاء هذا الكتاب على أصالته ونقاشه وبنصه وفضله ، كما نزل على محمد بن عبد الله عليهما السلام ، سخر الله لهذا الغرض النفوس البشرية ، والدواعي الطبيعية ، والأسباب الخارجية ، والحوادث الكونية ، فكان لا يتحرك به لسان النبوة ، ولا يدخل في الأذن إلا و يتمالك المسلمين على تلقفه وحفظه ، و تلاوته و تدارسه ، بدافع من الحب الذي جبلت عليه القلوب ، و لاعجازه و بلاغته ، و رينيه ، و حلاوة جرسه ، ثم بما وردت في فضل حفظه وحمله من الآيات الكثيرة ، والأحاديث المسفيضة المتواترة (٣) ، وقد قرنت حياة المسلمين به صلاة و تعبداً ، وأحكاماً و مدنية و اجتماعية ، و علماء و أدباء ، فبلغ تعلق قلوب المسلمين به إلى حد

(١) حم السجدة ٤١ - ٤٢ . (٢) الحجر : ٩ .

(٣) راجع على سبيل المثال - رسالة نضائل القرآن ، للعلامة المحدث الشيخ محمد زكي بن يحيى الكاندھاوي . تعریف الأستاذ واضح رشید الدوی .

وأجمع عليه المஸدون وتواتر منذ أن تم هذا العمل ، وأطبق المஸدون إلى هذا العصر الذى أصبح القرآن فوق متناول المحرفين و المغرضين و العابشين ، لكتة الحفاظ و العلماء المتقدرين له ، و كثرة التداول بين الناس ، و كثرة الطبعات ، وقد اعترفت الموسوعة البريطانية ، بأن القرآن هو أوسع الكتب تلاوة على وجه الأرض (١) .

وقد اتفقت كلية المستشرقين ، و علماء الغرب المحققين الذين لا يؤمنون بطبيعة الحال بكون القرآن منزلًا من الله ، و وحىً أوحى به إلى محمد عليهما السلام ، على صحة نقله و انتهاءه بنصه إلى محمد عليهما السلام و هنا بعض شهادات لكتاب العلامة المسيحيين .

يقول سر رايم مبور الذى عرف تحامله على الإسلام ، و صاحب رسالته ، حتى اضطر ذلك زعيم حركة التعليم العصري في المسلمين في الهند سيد أحمد خان ، مؤسس جامعة عليكراه الإسلامية إلى وضع كتابه الشهير « خطبات أئمدة » في الرد على كتابه « حياة محمد » (Life of Mohammed) يقول مبور في نفس هذا الكتاب :

« لم يمض على وفاة محمد ربع قرن حتى نشأت منازعات عنيفة ، و قامت طوائف ، وقد ذهب عثمان خليفة هذه الفتن ، ولا تزال هذه الخلافات قائمة ، ولكن القرآن ظل كتاب هذه الطوائف الوحيدة ، إن اعتقاد هذه الطوائف جمعاً على هذا الكتاب تلاوة ، برهان ساطع على أن الكتاب الذي بين أيدينا اليوم ، هي الصحيفة التي أمر الخليفة المظلوم بجمعها وكتابتها ، فلعله هو الكتاب الوحيد في الدنيا الذي يبق نصه محفوظاً من التحريف طيلة ألف و مائة سنة (٢) » .

(١) دائرة المعارف البريطانية : مادة « محمد » .
(٢) Life of Mohammed [الطبعة ١٩١٢] ص: ٢٢٠-٢٢١ .

بهذا الشأن ، ققام بذلك خير قيام ، معتمداً على المحفوظ في صدور القراء ، والمكتوب لدى الكتبة ، و بقيت تلك الصحف محفوظة يرجع إليها ، ويعتمد عليها ، حتى آل الأمر إلى عثمان بن عفان الخليفة الثالث ، و قد اتسعت الفتوحات الإسلامية ، و تفرق القراء في الأماصار ، و أخذ أهل كل مصر عن وفد إليهم قراءته ، و خشي على المسلمين الاختلاف و الاضطراب في وجوه القراءة ، و اللحن بدخول العجم في الإسلام في عدد كبير ، و خاف عقلاً ، الصحابة أن ينشأ عنه التحريف و التبدل ، فأمر عثمان رضي الله تعالى عنه بنسخ الصحف الأولى ، التي نسخت في عهد أبي بكر في المصاحف ، وكتبته على القراءات المتواترة ، وبعث عثمان إلى كل أفق بنسخة من المصاحف واحتبس بالمدينة واحداً ، هو مصحفه الذي يسمى « الإمام » (١) وهذه المصاحف هي التي تمسك بها المஸدون في مشارق الأرض و مغاربها ، و عليه درجة أجاتهم ، و بها ذات أسلفهم . و حفظوا القرآن ، و عبدوا الله به ، و تليه الاعتماد في العالم الإسلامي كله من أقصاه إلى أقصاه ، و من السنة الخامسة والعشرين التي كان فيها هذا الجمجم الأخير إلى يوم الناس هذا ، لا يشذ عن شاذ ، و لا يوجد عنه اختلاف في مجتمع إسلامي أو في مكتبة أثرية (٢) .

(١) أقرأ تاريخ جمع القرآن وكتاباته في الكتب التي ألفت في هذا الموضوع قدماً وحديثاً.
وأقرأ خلاصتها في كتاب « مباحث في علوم القرآن » ، صديقنا الفاضل الأستاذ مناع الفطان . واقرأ الكتاب المعنون « النبي العظيم » ، مؤلفه الفاضل العلامة الدكتور محمد عبد الله دراز .

(٢) يقول أے منجانا (A. Mangana) أستاذ جامعة منستر سابقاً: إن هناك نسخ كثيرة مخطوطة للقرآن كلها في مكتبات أوروبا العامة لعل أقدمها مترجم كتابتها إلى القرن الثاني المجري . وهذه المخطوطات لا يوجد فيها اختلاف عدا هنات من الكتابة العربية التي هي من عبوب الخط العربي القديم . وقريراً من ذلك قال نوبلدك (Noeldeke) (دائرة معارف الأديان والأخلاق) ج: ١٠ ص: ٥٤٨/٤٩ .

الدّعوة الإسلامية

★ الشيوعية تعارض الطبيعة الإنسانية

★ تهيئة الجيش لخوض القتال

و يقول وهيرى (Wherry) في تفسيره للقرآن ج: ١ ص: ٣٤٩ :
« إن القرآن أبعد الصحف القدمة بالاطلاق عن الخلط والأخلاق ، وأكثرها
صحة و أصلة » .

و يقول « بامر » مترجم القرآن المعروف إلى اللغة الانجليزية في كتابه
« لم يزل نص القرآن الذي رتبه عثمان هي
الصحيفة المتلقاة بالقبول ، المعتمد عليها عند المسلمين (١) » .

و يقول لين بول (Lane Poole) :
« إن أكبر ما يمتاز به القرآن أنه لم يتطرق شك إلى أصلاته ، إن كل
حرف نقرأه اليوم نستطيع أن نثق بأنه لم يقبل أي تغيير منذ ثلاثة عشر
قرناً (٢) » .

إذن فلم تعد حاجة إلى نبوة جديدة ، تزيل الالتباس ، و تميز بين الحق
و الباطل ، و تبين كذب المفترى ، و لا إلى صحيفة تحمل محل هذه الصحيفة
النسخة التي عثت بها الأيدي ، و اعتدى عليها المعتدون .



(١) ص: ٧٠ .

(٢) Selections from the Koran P. C.

هذه الاعترافات من نقطة من تفسير مولانا عبد الماجد الدرريابادي، بالإنجليزية .

✿ الشيوعية تعارض الطبيعة الإنسانية ✿

فضيلة الشيخ معين الدين أحمد الندوى
رئيس تحرير مجلة « معارف » الشهرية

الواقع أن الشيوعية رد فعل لرأسمالية أوربا المفرطة وسوءاتها الحضارية ،
و فيها بعض النواحي الإنسانية أيضاً ، إلا أن إمعانها في المادة والاحاد
و التطرف قد قضى على هذه النواحي ، و الاسلام نفسه يعارض توزيع
الانسان بين الرفيع والوضيع كما يخالف الاقطاعية ، والجور الاقتصادي ، الذى
 يصل بالبعض إلى قمة عالية من الغناه والثراء ، و يحط بالبعض الآخر إلى
حضر من الفقر والمرتبة ، و إن كان الاسلام لم يمنع الملكية الشخصية
و لا فرض حظراً على جمع المال باقامة المساواة الاقتصادية التي تضاد الطبيعة
الإنسانية ، ولكن قام بتطهير الرأسمالية من جميع الأوضاع والأضرار ، ووضع
على الرأسمالية حدوداً ، وألزم على الرأسماليين من قيود أخلاقية وحدود قانونية
بما لونال نصبه من التطبيق العملي لقضى على الرأسمالية المفرطة والافلاس كلها .

وإن ليوسفني أن هذا المقال الموجز لا يسمح لي بأن أتحدث عن النظام
الاقتصادي في الاسلام ، إلا أن المساواة الكاملة في الاقتصاد بين جميع أفراد
البشر تعارض مع الطبيعة البشرية ، فكيف تتساوى مجهودات مشق ذكي متفهم ،
أو صناع ماهر ، أو عالم خبير ، و مجهودات عامل عادى ؟ إذن فكيف تقوم
بنها المساواة الكاملة في الاقتصاد ؟ ولذلك فإن اعتبار المساواة بينهما ظلم صريح

بالنسبة إلى مؤهلات الأذكياء العقلية و الفكرية ، و لذلك فهو الشيوعيون
أنفسهم للتعديل في مبادئهم .

و أفح أخطاء الشيوعية وأسوأ أضرارها هو فلسفتها المادية الاحادية
و نظرتها في المساواة الكاملة ، إنما في الظاهر تدعوا إلى تحرز البشرية ، ولكنها
في الحقيقة أسوأ نظام استبدادي - عرفته البشرية - يفرض حظراً حتى على تفكير
الانسان ، و من ثم فليس لأحد في الاتحاد السوفيatic أن ينتقد الشيوعية
أو يحدث نفسه بمخالفتها - و لو بخلاص - و من تجرأ على ذلك فسيقتل
أو ينفي ، و قد ذهب الكثيرون من كبار المفكرين و العلماء و الكتاب
و المصنفين في الاتحاد السوفيatic ضحايا لهذه الوحشية والاستبداد ، وعلى ذلك
فالشيوعية بالإضافة إلى أضرارها الأخرى خطرك كبير على عقل الانسان وتفكيره ،
غير أن سيلها العارم بلغ من الشدة مبلغاً جعل القوى المعادية لها تفكر في
التفاهم معها رغم اتخاذ التدابير لسدتها .

و إذن فليس هناك قوة تستطيع مواجهة الشيوعية و مقاومتها ، اللهم
إلا أهل الأديان الساوية ، و هذه مسؤوليتهم الأخلاقية والانسانية كذلك ،
إلا أن الديانات في العصر الراهن فقدت تأثيرها حتى أصبحت الحركات المعادية
للدين لا تقيم لاصحاب الديانات وزناً و لا أهمية ، بل و على العكس
من ذلك أصبحوا يلبون كل دعوة ، و يجتمعون تحت كل راية ، و يصطفون
بكل صبغة ، و إنما المسلمين هم الذين يستطيعون - على صفهم و نصفهم -
أن يواجهوا الشيوعية مواجهة صارمة ، إذن فلم تعد الشيوعية تواجه أى خطر
إلا من الاسلام و المسلمين ، و الشيوعية ذاتها تعلم هذا علم اليقين ، كما تشهد
على ذلك تصريحات الشيوعيين .

و علاوة على كل ذلك فإن هناك عوامل دبلوماسية تضطر المسلمين إلى أن يقفوا من الشيوخية موقفاً معارضاً، فقد ظل الخلاف قائماً بين المسلمين و روسيا منذ عهد بعيد، والسبب في ذلك أن منطقة تركستان - وهي الآن جزء من روسيا و يسكنها مات الملايين من المسلمين - كلها كانت متحررة، و ما زالت هذه الأرض مركزاً للعلوم الإسلامية و الثقافة الإسلامية منذ قرون، وقد أنجبت أعلاماً من أمم الإسلام، و لهذا كان لم يكن الاتحاد السوفيatic ليرضى بوجود هذه المنطقة في جانبه، فاكتسحها و ضمها إليه، و سلاح الجيل الجديد من المسلمين من إسلامه بنظامه التعليمي الملحد و تنفيذه في ذلك المجتمع بكل ضغط واستبداد، حتى لم يعد من المسلمين إلا شيوخ يمثلون الإسلام، غير أن شعلة الإسلام لم تطف بعد، رغم هذه المحاولات الضخمة من الاتحاد السوفيatic، فهناك طبقة كبيرة لا زالت تحمل شعوراً قوياً باسلامها وتعتز به، وقد يمكن أن تذهب فيها هذه الشرارة، وترك جهودها على التخاص من مخالف روسيا، وذلك هو الذي جعل الاتحاد السوفيatic يضطر ولا يقر له قرار، ولذا فيحاول إطفاء هذه البقية الباقية من الشعلة المؤمنة.

إن كلاً من أفغانستان، وإيران، وتركيا، وروسيا تتلاصق حدودها بعضها بعض، وبما أن أفغانستان لم تكن لها أي شخصية قط فالاتحاد السوفيatic لم يحاسب لها حساباً، وأما الآن فقد أصبحت كذيل لروسيا، لكن إيران وتركيا ظلتا منذ وقت غير قصير معارضتين لروسيا، وقد قامت بينهما المعارك الكثيرة، ولم تستطع روسيا بعد أن تغلب عليهما، وقد اضطرتها الأوضاع الدولية مؤخراً إلى التفاهم فيما بينها، غير أن قلوب أهلها لم تجتمع على تبادل الحب بعضها مع بعض، أما معاوادة الاتحاد السوفيatic ضد باكستان فشيء واضح

وضوح الصبح، و أما ببغداد فهو في دولة حديثة العهد بولادتها ، لكن روسيا تود أن تصيدها بحبالتها ، ولا غرو إذ أنها لو قدرت - لا قدر الله - لدخلت في المملكة السعودية وإيران اللتين لا زالان ترفضان الشيوخية وتعارضانها ، وندعوان إلى التضامن الإسلامي بكل قوة .

و المركز الثاني للشيوخية هو الصين ، و إنها لعبت مع المسلمين الذين كانوا يحملون أي شخصية دينية أو حضارية إسلامية في تركستان الصينية نفس الدور الذي كانت قد لعبته روسيا مع المسلمين في تركستان الروسية ، و أما المسلمين الذين كانوا من قاطني الصين خاصة لم يكونوا يحملون أهمية سياسية، أو تاريخية ، أو ثقافية وحضارية ، بالإضافة إلى أنهم كانوا قد ذابوا في الصبغة الصينية الخاصة ، لم يتسلج صدر الصين الشيوخية حتى قضت على البقية الباقية من حرارة الإيمان بكل قساوة و وفاحة ، فقد أعملت السيف في أكثر من ملايين المسلمين .

والاتحاد السوفيatic وإن كان يبدو للناظر أنه من أنصار الدول العربية ضد العدوان الإسرائيلي ، غير أن هذا النصر و الأخيار لا يقومان على ود أو إخلاص أو تعاطف ، لا ، بل كل ذلك إنما لمقاومة التغوز الأمريكي في الشرق الأوسط ، ليس غير ، إى والله فإن الاتحاد السوفيatic هو مسامٌ مأو في تأسيس إسرائيل ، فعظام أهالي فلسطين هم اليهود المهاجرون من روسيا ، و لا زال هذه الهجرة مستمرة ، و لذا فإن الاتحاد السوفيatic لم يرد قط ولا اليوم أن تطرد إسرائيل من أرض فلسطين ، بل تحاول بقائها و لو في نطاق محدود ، و الذي يدل على ذلك هو أن روسيا ظلت تزهد في مساعدة العرب بما يكسبهم المعركة ضد إسرائيل ، و يتخلّلوا عليها في معركة المصير ،

أما اليوم فقد كشفت الظروف والملابسات الراهنة القناع عن استئثار روسيا وإشارها لصالحها الشخصية ، و لعل ذلك هو الذى جعل الرئيس المصرى أنور السادات يدعم علاقاته مع الولايات المتحدة الأمريكية .

ولتصريح أن مساعدة روسيا و مؤاساتها ذات خطر ، فان روسيا تستعوض عن هذه المساندات الجوفاء بتطبيق نظامها الشيوعى أو تأثيره على الأقل ، ولذلك فكل بلاد تسربت الشيوعية إليها خلفت فيها آثارها ، فقد كانت مصر تحملها الشيوعية بسرعة هائلة في عهد جمال عبد الناصر ، بحكم نفوذ روسيا فيها ، غير أن الرئيس أنور السادات قد وقف في وجهها الأسود ، و أما حليفاتها سوريا والعراق فكلتاهما تحكم فيها الشيوعية ، وأما بوادر العلاقات الروسية الهندية فلم تعد خافية على أحد ، إلا أن أي دولة - و الدول الصغيرة خاصة - في العالم المعاصر لا تستطيع أن تستغني - بحكم الملابسات - عن الدول القوية ، فهي في حاجة أكيدة إلى تدعيم علاقتها مع الدول الكبيرة للحفاظ على كيانها ، فالواجب أن تكون هذه الدول على حذر من هذه الأخطار الفادحة ، و إلا فإن سيل الشيوعية العارم سوف يجرفهم دون عودة .

إن كل نظام جديد يريد أن يكسب القلوب ، يختلف له مصطلحات براعة جذابة مضللة ، فيضل الناس بمعانيها الظاهرة دون أن يفكروا في مفاهيمها الأصلية و مراميها الجذرية ، بينما تكون تهدف تلك المصطلحات في الواقع إلى معان أخرى ، و إن الحضارة الغربية و الشيوعية كلتيهما قد اصططعا من أمثل هذه المصطلحات مما لا يكاد هذا المقال يسع تفاصيله ، فلنقتصر على عدة أمثل : « حرية الفكر و الرأى » : يعتبرها الناس من أيادي الغرب العظيمة ومنه الكبيرة ، و إنما في الحقيقة شئ له مكانته و قيمته ، لا يستطيع أحد

أن ينكر عظمتها ، وكل عاقل بالغ يستحقها بكل ما يهـا في معنى ، غير أن هذه الحرية « الغريبة » تزيد أن يتحرر الإنسان من معتقداته و تقاليده و شعائره الدينية ، وإن الإسلام لم يسمح للبشر أن يتذمر في تعاليه وإرشاداته من ناحية العقل ، فحسب ، بل دعا إـلـيـه بكل شدة ، فآيات القرآن الكريم تزخر بأمثال كلمات « أـفـلـا يـتـفـكـرـونـ » و « أـفـلـا يـتـذـمـرـونـ » غير أن لهذا التذمر و النظر حدوداً تحصر هذه الحرية الفكرية فيها ، و لا يمكنها أن تتعادها ، و إن لكل ديانة مبـاـءـىـ أولـيـةـ و عـقـائـدـ جـذـرـيـةـ و مـسـلـاتـ أـسـاسـيـةـ ، يجب أن يؤمن بها أبناء تلك الديانة ، سواء استساغوها أم لم يستسغوها ، وإنما الحقيقة الكبرى لا تكاد أى ديانة تخلي عنها .

إن العقل البشـرىـ نطاقـه مـحـدـودـ ، إنـماـ يـسـطـعـ أنـ يـدـركـ المـحسـوسـاتـ ، وـ أـمـاـ مـاـ دـوـنـهـ فـلاـ يـكـنـهـ أـنـ يـنـفـذـ إـلـيـهـ ، ثـمـ إـنـ العـقـولـ لـاـ تـكـادـ تـجـمـعـ عـلـىـ مـسـتـوـىـ وـاحـدـ ، وـ إـنـاـ لـتـخـلـفـ فـيـمـاـ يـبـنـهـ ، فـهـنـاكـ شـئـ لـاـ يـكـادـ يـعـقـلـهـ رـجـلـ ، يـبـنـهـ هوـ بـدـيـهـيـ عـنـدـ رـجـلـ آـخـرـ ، وـ شـئـ لـاـ يـكـادـ يـدـرـكـ عـقـلـ الجـاهـلـ ، يـبـنـهـ يـعـقـلـهـ العـاقـلـ دـوـنـ أـدـفـأـ تـأـمـلـ ، ثـمـ العـقـلـ قـدـ يـخـلـفـ باـخـلـافـ الـمـهـنـةـ وـ الـحـرـفـةـ وـ نـوـعـ الـعـلـمـ وـ الـفـنـ الذـىـ يـزاـوـلـهـ الـإـنـسـانـ ، فـالـعـقـلـ الذـىـ تـعـودـ عـلـىـ مـهـنـةـ إـنـماـ يـؤـدـيـ وـظـيـفـهـ فـيـ دـائـرـتـهـ ، أـمـاـ خـارـجـهـ فـلاـ ، بلـ وـ إـنـ عـقـلـ رـجـلـ وـاحـدـ يـخـلـفـ باـخـلـافـ مـرـاحـلـ سـنـهـ وـ تـطـوـرـهـ ، وـ لـذـلـكـ فـالـعـقـلـ وـحـدـهـ لـاـ يـصـلـحـ أـنـ يـكـونـ مـعيـارـآـ فـيـ كـلـ شـئـ ، ثـمـ هـنـاكـ أـشـيـاءـ رـبـعـاـ تـضـطـرـ الـإـنـسـانـ أـنـ يـأـخـذـ فـيـهـ بـأـرـاءـ رـجـلـ يـفـوـقـهـ فـيـ الـعـقـلـ وـ الرـأـىـ وـ نـضـجـ الـفـكـرـ وـ نـفـوذـ الـبـصـيرـةـ ، إـنـماـ حـقـيقـةـ ، وـ الـحـيـاةـ كـلـهاـ تـدـورـ عـلـىـ هـذـاـ المـبـدـأـ ، فـسـائـلـ الـفـلـسـفـةـ وـ الـعـلـمـ الـعـوـرـيـصـةـ لـاـ يـفـهـمـهـ حـتـىـ الـمـتـقـفـونـ السـكـارـ بـسـهـوـلـةـ ، وـ إـنـماـ يـعـتـمـدـ فـيـهـ الـإـنـسـانـ عـلـىـ مـاـ يـقـولـهـ رـجـالـهـ

محرم الحرام ١٣٩٥

عنه لرجاها ، فثلا التوحيد والرسالة من أعظم أركان الإسلام وأكبر مبادئه ، فلكل يكون الرجل مسلماً لا بد من الإيمان بها ، أما بدونه فلا ، و بذلك فالملم سوف لا يحصل في أمثال هذه المبادئ ، وإنما يحصل في أمثالها أصحاب الديانات التي لا تملك عقائد ، إيجابية وسلبية ، إنها تفسح المجال لاصحاب عقائد متضاربة وهذا لا يوجد إلا في النظم الأرضية غير الالهية الساوية ، وأوضح مثال لذلك هو الشيوخية ، فسوف لا يكون الرجل شيوخاً حتى يؤمن بمبادئها الأساسية وهي معارضة الرأسمالية وموافقة المساواة الاقتصادية ، وسوف لا يحصل في ذلك أي شيوخ ، فالحقائق التي تناصبها كل الحساب في النظم الأرضية ، لماذا نصرّبها عرض الحائط في الديانات و العقائد ، بينما الدين يفوق تلك النظم بدرجات كثيرة ؟

و الواقع أن الغرب يريد أن يروج الاتحاد واللامدية والاسلاخ في الدين في العالم كله ، ذلك الذي قد توصل إليه بعد جهد جهيد ، وهذا وحده يختلف هذه الكثرة الكثيرة من المصطلحات البراقة الملاعة الساحرة ، غير أن الذي يبعث التساؤل أن الغرب لم ينسأ بعد عن ديناته كلها في نطاقها وصيغتها اللذين يعتقدون فيها ، ولا يكاد أي يهودي أو نصراوي - ونسنني - من ذلك أولئك اليهود والنصارى الذين اسلحو من ديناتهم كلها - أن يخلع عقيدته ، ولا يزال اليهودي يؤمن بأن موئلي هو هادي البشر جميعاً ، كما يعتقد النصارى أن عيسى هو منقذ الإنسانية بأسرها ، ولا يزالون يضعون على عقيدة التثليث والكافارة بالتواجذ ، ويدعون إليها العالم كله ، ونظامهم التبشيري منتشر في أرجاء العالم لهذا الغرض ، ولا يزال اليهود يكرهون لدى « حائط المبكى » لاسترجاع الأرض الموعودة ، بل و الوثنيون مصرون على وثنيتهم

المهرة ، وكل شخص يسلم ما يقوله هؤلاء دون جدال و نقاش ، كما يؤخذ بوصيات الأطباء في المعالجة و براء المحامين في الأمور القانونية ، وللحصول على هذه التوصيات و الآراء يبذل أحدنا جهوداً ، وعلى ذلك فيجب الاعتماد على تصرّفات و إرشادات و أقوال الأنبياء و الرسل عليهم الصلاة و السلام فيما وراء الحس والادراك من أمور الدين ، فإنهم على اطلاع منها و معرفة بها ، و لذلك فالقرآن عند ما يدعو بكل تأكيد إلى النظر و التدبر العقل في تعليماته و إرشاداته ، إذا هو يطلب من الإنسان أن يؤمن دون أي جدال بما وراء عقله و إدراكه .

و المصطلح الثاني هو « المساحة و المجاملة » فهذه الكلمة في معنى أن لا نسيئ الظن بأبناء الديانات الأخرى ، و أن نتعزّز بنوائحها الإنسانية ، و نكرم الأخيار و المتقيين المذهبين من رجالها ، وأن تؤدي حق الصحة والمعاصرة نحوهم ، وأن نشاركم في آلامهم و أحزائهم ، هذه الكلمة في هذا المعنى صحيحة صادقة ، ولكنها غير صحيحة في معنى أن تتقبل عقائد تلك الديانات وتصوراتها ولو اصطدمت مع مبادئنا الدينية ، وأن نساهم في تقاليدها وأعرافها و شعائرها و لو لم تنسجم مع عقائدها ، ففهم الكلمة الصحيحة هي أن نعاشر أصحاب الديانات الأخرى معاملة حسنة و نعاملهم معاملة أخوية كريمة ، والعصبية مبغوضة في معنى أن نسيئ الظن برجال الأديان الأخرى ، و نحمل لهم حسدآ أو بغضآ أو حقدآ ، أما العصبية في معنى أن نلاحظ مصالح ديننا ، وأن نعمق في عقائدهنا ، وأن نستقيم في أعمالنا ، فهي ليست بعصبية ، لا ، بل و هذه « العصبية » تتحتم على كل رجل مهما كانت ديناته ، فلكل ديانة عقائد إيجابية و أخرى سلبية ، و الإيمان بالأولى و السكير بالأخرى مما لا مدعى

بكل شدة قوة ، و لا يكاد يفلتمن نصيب من حضارتهم ، و يأتون لذلك بتوجهات فلسفية ، و حينئذ إذا استقام المسلم في دينه و ثبت في عقیدته فلماذا يصبح ذلك عصية ؟

و الواقع أن الناس قد جعلوا الديانة في العصر الراهن أقل أهمية من النظم المادية ، و إلا فما السبب في أن النظم الأرضية المادية لا تسمح بالحد عن مبادئها قيد شعرة ، بينما ينبذ الناس أمثال تلك المبادئ و راهم ظهرياً في أمر الدين والعقيدة ، و الشيوعية التي هي أحب النظم لدى الناس في العهد المعاصر أشد من ذلك كله ، فليس لشيوعي أن ينحرف عن أي جزء من مبادئ الشيوعية ، و الجزاء على مثل هذه الجريمة على الأقل هو الاقصاء عن الحزب ، و القتل و النفي أحياناً ، غير أن الدين هو أحسن من هذا كله فيستحق أن يواجه الحرية بأدواتها ، إن الكلمات لها سحر عجيب في النفوس فكثير من الأشياء كانت عيناً في زمن لكن الكلمات جعلتها عزيزة كريمة يعتز بها ، فثلاثة الأشراف ، و « الطبقية العليا » ، و « الاقطاعي » ، و « الاقطاعية » و « الرأسمالية » كل ذلك كان سمة العز و الفخر و الفخامة ، و لكنه تحول في مصطلح الشيوعية وأصبح علامه الظلم والعدوان ، ولذلك فالشيوعية تسمى معارضها « البورزوجيين » و « الرجعيين » و « علامات الرأسمالية » و كل ذلك سباب ضخم في مصطلح الشيوعية .

سليمان بن عبد الله

تمهيد الجيش لخوض القتال

إعداد : عبد الرحيم صالح عبد الله

إن من مهام أمير الجيش الرئيسية وضع الخطط الحربية الخاصة بتبسيئة صفوف الجيش و تنظيمها ، بتقسيمها إلى وحدات و تعين شخص على رأس كل وحدة ، قادر على تدبير شؤونها الحربية بتنفيذ الأوامر الصادرة إلى الوحدة من القائد الأعلى منه ، وتوزيع الوحدات المقاتلة على الأماكن الخاصة بأرض المعركة بحسب طبيعتها و تحديد المسؤوليات الخاصة بكل منها بحيث يكون الجيش جبهة متراسة كالبنيان المرصوص بحيث لا يجد العدو أي ثغرة ينفذ منها إلى صفوف المقاتلين لخلطها أو لفصلها عن بعضها البعض أو بتطويقها من أي جهة من الجهات . وكذلك فإن من مهام أمير الجيش الأساسية تحريض أفراد الجيش على القتال في سبيل الله قبل اللقاء بالعدو ، بترغيبهم في المجهاد في سبيل الله الذي يهدف إلى إعلان كلمة الله تعالى ، بتذكيرهم بشوابه العظيم في حالة الاقدام عليه ، وأن هذا الاقدام لا ينقص من الأعمار والأرزاق شيئاً إلا بمشيئة الله تعالى لأنها أى الأرزاق والأعمار يده تعالى ، وأن الهروب من العدو عند اللقاء به لا يزيد منها شيئاً علاوة على أن الذي يولي دربه للعدو يعرض نفسه لغضب الله تعالى و يكون مأواه نار جهنم و بئس المصير . و ذلك حتى تبعث هم المقاتلين و تطلق طاقاتهم لمقابلة العدو و الثبات له و توجيه الضربات القوية له ، و أن يبذل كل مقاتل كل ما أوتي من جهد و طاقة للقيام بالواجب الذي يوكل إليه و يحرص

محرم الحرام ١٣٩٤

فعلى القائد أن يضع خططه الحربية على أساس من فهم الواقع المحيط به وأن تكون خطته مرنة بحيث تكون قابلة للتغيير و التعديل بحسب تغير و تعدل الظروف التي قد تطرأ على سير المعركة و لذا فعلى أمير الجيش أن يتوقع المفاجآت التي قد تحصل على سير المعركة ، و أن يكون قد أعد لكل مفاجأة الاستعداد الخاص لمواجهتها ، كما عليه أن يحدد من سيتولى إمارة الجيش في حالة تعرضه لاصابة قد تعيقه عن القيام بمهامه العسكرية في إدارة المعركة ، كما كان الرسول ﷺ يفعل حين يبعث بعثاً لغزو الأعداء ، فعند ما أرسل بعثة إلى مؤنة استعمل عليهم زيد بن حارثة و قال « إن أصيب زيد بن حارثة بجعفر بن أبي طالب على الناس ، فان أصيب جعفر فبعد الله بن زواحة على الناس » و من هنا تبدو أهمية الاعداد الحربي لقيادة الجيوش الاسلامية ، الذي يستلزم إنشاء الكليات العسكرية التي تعمل على تخرج القادة العسكريين على أرفع المستويات الحربية ، إذ أنه لا بد من الاكثار من الخبراء العسكريين في الجيش حتى إذا أصيب قائد الجيش أو بعض من قادة وحداته يتيسر احلال من يحل بدلاً من المصاب بأسرع ما يمكن من الوقت حتى يبق القادة على نفس المستوى من حيث القدرة على وضع الخطط واستبطاط الحلول اللازمة لمواجهة التطورات التي قد تطرأ على سير المعركة .

و بما أن وجوب إمارة الجيش ثابت بالنصوص الشرعية ، و أن أمير الجيش وغيره من قادة الوحدات العسكرية يجب أن يكونوا على مستوى رفع من السكفاءة العسكرية في فن قيادة الجيش و إدارة المعركة ، و يجب أن يكون المقاتلون المسلمين على مستوى من السكفاءة القتالية ما يفوق مستويات أفراد العدو القتالية للعمل على ارهاب العدو بشكل مستمر ، و أن كل ما لا يتم

حرقاً شديداً على أن لا يؤتي المسلمين من قبله .

و إن جميع الأعمال الخاصة بتبسيط صفوف الجيش و تنظيمها و توزيعها على أرض المعركة بشكل يتيح للسلميين مواجهة عدوهم و النكبة به و قهره ، ثم التحرير على القتال في سهل الله بواسطة أمير الجيش أو بواسطة أشخاص لديهم القدرة على التحرير يوكل إليهم الأمير القيام بهذه المهمة قبل بدء المعركة وأثناء احتدامها فريضة على أمير الجيش ، و ذلك اقتداء بسنة رسول الله ﷺ الذي داوم على القيام بهذه المهام في جميع غزواته التي غزاها ، فقد كان ﷺ قبل خوض المعركة ينظم صفوف أصحابه و ينزل لهم منازلهم للقتال بحسب ظروف المعركة و يحضرهم على القتال في سهل الله – كما سيأتي توضيح ذلك فيما بعد – ولو لم يكن هذا العمل فريضة على أمير الجيش اتركه الرسول ﷺ مرة واحدة في غزواته للدلالة على أنه غير واجب وكذلك فإن طاعة أفراد الجيش لكل أمر يصدره إليهم أميرهم و فيه النكبة بالعدو و قهره فريضة واجبة عليهم .

وعلى أمير الجيش قبل وضع خططه الحربية الخاصة بتبسيط جنوده وتنظيم صفوفهم و تحديد الأماكن والمسؤوليات الخاصة بكل منهم أن يكون على دراية بطبيعة عدوه ، و طبيعة المعركة التي سيخوضها و لذا لا يجوز له أن يقصر لحظة في استخدام مختلف الوسائل لمعرفة طبيعة عدوه و طبيعة قوته من بث العيون والاستخبارات في مختلف الأتجاهات التي يتواجد فيها العدو لجمع كافة المعلومات عنه ، كما يجب عليه أن يستمع إلى كل رأى حكيم يصدر عن مستشاريه العسكريين وغيرهم من ذوى الخبرة العسكرية أو الخبرة بطبيعة العدو أسوة بالرسول ﷺ الذي كان في غزواته يرسل بعضاً من أصحابه لاستطلاع أخبار عدوه ، كما كان ﷺ ينزل عند كل رأى عسكري حكيم يصدر من أصحابه ، و هكذا

الفرض إلا به فهو فرض ، لذا فقد أصبح إنشاء الكليات العسكرية على أرفع المستويات فرضاً واجباً على المسلمين في يومها هذا لا يجوز لهم التخلّي عنه أو التهاون فيه ، خاصة وإن اكتساب العلوم والخبرات العسكرية الضرورية لوضع الخطط الحربية الناجحة ، أصبح يحتاج إلى تخصص في الدراسة والإعداد و التدريب ، وذلك لعقد الوسائل الحربية الحديثة التي لا يمكن وضع أية خطة حربية ناجحة دون تفهمها تفهماً دقيقاً .

سنة رسول الله عليه السلام في تعبئة جنوده للقتال في سيل الله :

لقد جرت سنة رسول الله عليه السلام أنه كان قبل دخول أي معركة مع أعداء الله تعالى يقوم بتعبئة جنوده للقتال بتنظيمهم وتوزيعهم على أماكن أرض المعركة بحيث يكونون صفاً واحداً في مواجهة الأعداء ، و ذلك لأنّ الله سبحانه و تعالى يحب عباده المؤمنين الذين يصفون مواجهين لأعداء الله في حومة الوغى يقاتلون في سيله تعالى من كفر به تعالى ليكون كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر علىسائر الأديان ، يقول الله تعالى : « إن الله يحب الذين يقاتلون في سيله صفاً كأنهم مرصوص » .

و روى الإمام أحمد و ابن ماجة عن أبي سعيد الخدري أنه قال : قال رسول الله عليه السلام : « ثلاثة يضحك الله إليهم ، الرجل يقوم من الليل ، والقوم إذا صفووا للصلوة ، و القوم إذا صفووا للقتال » .

و قال سعيد بن جبير في قوله تعالى : « إن الله يحب الذين يقاتلون في سيله صفاً » ، قال : كان رسول الله عليه السلام لا يقاتل العدو إلا أن يصاف أصحابه ، و هذا تعليم من الله للمؤمنين ، وقال : و قوله تعالى « كأنهم بنيان مرصوص »، مشتت لا يزول ملتصق بعضه ببعض و قال قتادة : « كأنهم بنيان

مرصوص » ألم تر إلى صاحب البنيان كيف لا يحب أن يختلف بنيانه ، فكذلك الله عز و جل لا يحب أن يختلف أمره ، وإن الله حف المؤمنين في قاتلهم ، وصفهم في صلاتهم ، فعليكم أيها المؤمنون بأمر الله فإنه عصمة لمن أخذ به .

و من أمثلة ما كان يقوم به عليه تعبئة صفووف أصحابه للقتال قبل خوض المعركة ماحدث يوم بدر ، إذ تروى كتب السيرة أنه قبل اللقاء بأعداء الله المشركين قام الرسول عليه السلام بتعديل صفوف أصحابه وفي يده قدر يعدل به القوم ، و بعد أن عدل الصفووف و هيأها للقتال أصدر أوامره إلى أصحابه قائلاً لهم بأن لا يبدأوا القتال حتى يتلقوا منه الأوامر الأخيرة ، وما قال لهم « إن أكتتفكم العدو - أى أحاط بكم - فاضحوم بالليل » .

و يوم أحد سار الرسول عليه السلام حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي إلى الجبل ، بجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، و هناك قام عليه الصلاة و السلام بتعبئة جنوده لتهيئتهم للقتال ، و كان عددهم يقارب سبعين مجاهداً ، و أثناء التعبئة (كجزء من الحطة النبوية الحكيمية) اختار عليه السلام خمسين من رماة النبل الماهرین في الرماية و أمر عليهم (عبد الله بن جبير) و طلب منهم التمركز على جبل مسمى اليوم بجبل الرماة و بما قاله لهم كما روى ابن كثير في تفسيره : « انضحوا الحيل عنا ، و لا نوتين من قبلكم ، لا يأتونا من خلفنا ، و ألزموا مكانكم إن كانت النوبة لنا أو علينا ، و إن رأيتُونَا تخطفنا الطير فلا تبرحوها مكانكم » ، و هكذا فقد كان هدف الرسول عليه السلام من تمركز الرماة في الجبل حماية جيش المسلمين من خطر الالتفاف أو ضرب المسلمين من الخلف ساعة احتدام المعركة .

ظفرت بالعدو فقتل من شئت منهم) - و هذا كان شعار النبي ﷺ يوم بدر و كان شعاره يوم أحد : أمت أمت .

وأخرج أبو داؤد عن سمرة بن جندب أنه قال : « كان شعار المهاجرين عبد الله ، و شعار الأنصار عبد الرحمن » .

وأخرج أبو داؤد عن سلمة بن الأكوع قال : « أمر علينا رسول الله ﷺ مرة أبا بكر ، في غزوة ، فييتنا ناساً من المشركين نقتلهم ، و قلت يدي تلك الليلة سبعة أهل آيات من المشركين ، وكان شعارنا أمت ». وفي أخرى ، يا منصور أمت ، يا منص أمت » .

و في رواية أخرى لابي داؤد أيضاً قال . غزوتنا مع أبي بكر زمن النبي ﷺ فكان شعارنا أمت ، أمت .

وأخرج أبو داؤد و الترمذى عن المهلب (مرسلاً) عن سمع النبي ﷺ ، يقول : « إن يتقىكم العدو فقولوا : حم ، لا ينصرون » .

وفي رواية أخرى ذكرها رزين - ولم يجد لها (ابن الأثير) في الأصول - قال : « سمعت المهلب - وهو يخاف أن يبيته الخوارج - يقول سمعت على بن أبي طالب يقول : - و هو يخاف أن يبيته الحرورية - سمعت رسول الله ﷺ - و هو يخاف أن يبيته أبو سفيان - « إن يتم فات شعاركم : حم لا ينصرون » . و قوله : « فإن شعاركم حم لا ينصرون » ، أى علامتكم التي تعرفون بها أصحابكم هذا الكلام . و « حم لا ينصرون » معناه بامانتنا في هذه السور ، و ما أفادنا من الثقة بربنا ، لا ينصرون .

و روى محمد بن الحسن الشيباني عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : جعل رسول الله ﷺ شعار المهاجرين : يا بني عبد الرحمن ، والهزرج يا بني

و روى ابن كثير في تفسيره أن رسول الله ﷺ قد أوصى صحابته بأن لا يبدأ أحدهم القتال إلا بأمر منه ﷺ و قال : « لا يقاتلان أحد حتى نأمره بالقتال » .

و قد أنزل الله تعالى في تبة الرسول ﷺ أصحابه رضوان الله عليهم ، اتهمتهم للقتال ، قوله تعالى : « و إذا غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال و الله سبع عالم » (سورة آل عمران) .

أى تنزلهم منازلهم و تجعلهم ميسنة و ميسرة ، و حيث أمرتهم « والله سبع عالم ، أى سبع لما يقولون عالم بضمهم » .

شعار في الجهاد :

و ما يتصل بتعبئة الجيش و تنظيمه للقتال يرى الفقهاء أنه من المستحب أن يكون لأهل كل راية في الحرب شعار معروف أى علامة لهم حتى إن ضل رجل عن أهل رايته نادى بشعاره فيتمكن من الرجوع إليهم و يعرفوه ، والخيار في اتخاذ الشعار يرجع إلى إمام المسلمين أو أمير الجيش وذلك بحسب التنظيم الذي يقتضيه سير القتال مع العدو ، إلا أنه ينبغي أن يختار كلمة دالة على ظرفهم على العدو بطريق التفاؤل ، فقد كان رسول الله ﷺ يعجبه الفأل الحسن .

و من الفقهاء من يرون أن اتخاذ الشعار في الحرب ليس بواجب في الدين ، حتى لو لم يفعل المقاتلون ذلك لم يأمروا ، و لكنه أفضل و أقوى على الحرب ، و أقرب إلى موافقة ما جاءت به الآثار على ما روى عن سنان بن وبرة الجعفري قال : كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة المريسيع و هي غزوة بني المصطلق ، و كان شعارنا : يا منصور أمت . - (و معناه قد

دراسات وأبحاث

تجديد علوم الشريعة في عصر ابن تيمية

تهيئة الجيش لخوض القتال

البعث الإسلامي

عبد الله ، و الأوس : يا بني عبد الله ، و قال لهم رسول الله ﷺ ليلة في حرب الأحزاب : إن يأتم الليلة فشعاركم : حم لا ينصرون .
ويروى الشيباني أن شعار المسلمين يوم حنين : يا أصحاب سورة البقرة ،
وبه ناداهم رسول الله ﷺ حين ولوا منهزمين ، فقال : يا أصحاب سورة
البقرة إلى ، أتنا عبد الله و رسوله ، و جعل يتقدم في نحر العدو ، فرجع
إليه المسلمون حين سمعوا صوته .

وفي رواية ، كان شعارهم يومئذ ، حم لا ينصرون ، فلما تاب المسلمون
— أى رجعوا إليه — تولى المشركون ، فقال رسول الله ﷺ : إنهزموا
و ياسين ، و هذا قسم أكد به رسول الله ﷺ خبره .

الرأيات والألوية :
يحذن الفقهاء بأن تكون ألوية المسلمين بيضاً و الرأيات سوداء ، كما جاءت
بذلك الأخبار ، وقد روى الشيباني عن راشد بن سعد رضي الله عنه قال :
كانت راية رسول الله ﷺ سوداء ، ولواؤه أبيض .

و روى الشيباني عن عروة بن الزبير رضي الله عنهم ، كانت راية رسول
الله ﷺ سوداء من برد لعائشة ، وكانت تسمى العقاب .

اللواء اسم لا يكون للسلطان ، و الراية اسم لا يكون لكل قائد تجتمع
جماعة تحت رايته .

واختلفت الروايات في أن النبي ﷺ متى اتخذ الرأيات ، فذكر الزهرى ،
قال : ما كانت راية قط حتى كانت يوم خير ، إنما كانت الألوية .
و ذكر غيره أن راية الرسول ﷺ يوم بدر كانت سوداء ، ففي هذا
بيان أن الراية كانت قبل خير .

إن هؤلاء الرجال وإن كانوا متواضعين في العلم والمعلومات إلا أن أفكارهم لم تكن متعصمة إلى الجذور، فكانت الحاجة ماسة إلى رجال لهم نظرة ناقدة وخبرة تامة بهذه الذاخّر العلمية كلها، يحملون قوة الموازنة بين آراء المقدمين وأفكارهم، كما يتفردون بآرائهم ونظرياتهم الخاصة في المسائل والمشكلات، لقد كان المتأخرُون من العلماء في ذلك العصر يكتفون بالتجز في التراث العلوي الذي كان قد خلفه المقدمون، والاستغلال بشرحه وتوضيحه واختصاره وتلخيصه، فكان العمل العلوي راكمًا لم يكن ينال من زيادة قيمة، ولا كانت تتسع آفاقه، وكانت المكتبة العلمية تشكو فقدان الكتب التي تسم بالأسالة والاجتهاد، أما الكتب التي كانت تعتبر منعدمة النظير في ذلك العصر فلم تكن لها ميزة سوى أن مؤلفها كانوا قد جمعوا فيها المواد المبعثرة وربوا المعلومات المتفرقة السابقة بتنسيق جيد، أو أنها كانت شرحاً جيداً لمن فقهى سابق.

خصائص ابن تيمية العلية وتأليفه: تبحر ابن تيمية - بفضل ذكائه وقوته ذاكرته الموهوبة - في هذه الذاخّر العلمية بأكملها، واستساغها فكريًا، واستفاد منها في مؤلفاته استفادة كاملة، إلا أن نفسه المواجهة المضطربة، وعقله النادر الكبير، وقلبه السيال البليغ، لم يكن كل ذلك يقنعه بأن يكتفى بالنقل والرواية والشرح والتلخيص أو الاختيار، فما كاد يفارقه علمه العميق بكتاب الله تعالى، واطلاعه الواسع الصحيح على مقاصد الشريعة وملكته الراسخة في أصول الفقه وأصول التشريع في أي مرحلة من مراحل تأليفه، وكل موضوع يريد أن يوّل فيه ينفع فيه روحًا جديدة بعلمه الناضج الطريبي، ولذلك لا يجد أى كتاب من كتبه يخلو عن حقائق علية

تعریب : سعید الاعظمی الندوی

تجدد علوم الشریعہ فی عصر ابن تیمیۃ

الأستاذ أبو الحسن على الحسني الندوی

العصر الذى عاش فيه ابن تيمية: كانت العلوم الشرعية والدينية قد توسيع نطاقها في العصر الذى ولد فيه ابن تيمية، سيمًا علوم التفسير والحديث والفقه وأصول الفقه فقد تكونت لها مكتبة واسعة إذا اطلع أحد على واحد من هذه العلوم، وعبر على الذاخّر العلمية الموجودة آنذاك - ولو باجمال - كان يعتبر ذلك مأثرة علية كبيرة لرجل متوسط، أما عصر ابن تيمية فقد امتاز بوجود عدد وجيء من علماء و مدرسین كان مطلعاً على هذه المكتبة الواسعة، كما وجد من بينهم عدد أتقن جزءاً كبيراً من هذه المكتبة وحفظها في الصدور، نظراً إلى ما كان يتمتع به من قوة الذاكرة والاستغلال بالعلم وكثرة المطالعة و الدراسة و التدريس ، و كان يمكن من إعادة ما كان يحفظه من العلم والاستفادة منه بدون تكلف كلاماً الجائم الضرورة إلى المعاشرة و التدريس، فثلا العلامة كمال الدين ابن الزمكاني، تقى الدين على بن السبكى ، شمس الدين الذهبي ، أبو الحجاج المزى كلهم نموذج لذلك ، إن دراسة كتاب « طبقات الشافعية الكبرى » تفيد تقدير المدى الذي بلغ إليه هؤلاء العلماء من استحضار العلم و التجرب فيه ، وكثرة المحفوظات و التفنن في العلم ، وقد كان عديد من رجال العلم في ذلك العصر من استحقوا أن يسموا دائرة معارف العلوم الشرعية بكل جدارة .

التفسير ، و الاستدلال بالأيات ، و شرحها وتفسيرها ، إنه لا يغرن به إلا و يتناولها بالشرح و التفسير ، و لذلك فان الذخائر التفسيرية التي تركها تربو على ثلاثة مجلداً ، كما يقول تلاميذه ، ولاشك فأنها إذا جمعت تكونت ذخيرة تفسيرية لها قيمتها واعتبارها ، ولكن تفسير ابن تيمية من أوجود التفاسير وأجمعها لما قد رزقه الله تعالى من نعمة التعمق في الفكر و النظر ، و سلامة الذوق ، و التجربة الكاملة في الروايات و الاستشهاد بها ، وتطبيق الآيات على الحياة ، و الاطلاع على المجتمع الذي عاش فيه ، وروح الدعوة و دوافع الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، و حمية الدين .

ولو أن تفسيره الكامل المتصل مفقود ، و لكن تفسيره لسور عديدة مطبوع موجود ، و هو يكفي لتقدير خصائصه التفسيرية ، و قد صدر تفسير سورة الاخلاص ، و تفسير المعوذتين ، و تفسير سورة النور منذ زمن طويل في مصر ، كما صدرت مجموعة من التفسير مأخوذه من كتبه المختلفة ، منذ زمن قريب (١) ، لقد عرفت صله بالتفسير و اشتغاله به في حياته أيضاً ، وكانت تعتبر ميزته العلمية ، و لما نودى للصلة عليه بعد وفاته سمى بهذا الاسم « الصلة على ترجمان القرآن » ، و له رسالة وجيزة في أصول التفسير وهي رسالته الأولى الخاصة بأصول التفسير فيما نعلم .

ال الحديث : و إن لم يكن له كتاب مستقل في فن الحديث و شرحه ، وكان هذا الفن قد بلغ ذروة الاتساع و الكمال في القرنين السابع و الثامن حيث لم تعد هناك حاجة إلى تأليف أو شرح للحديث ، إلا أن مؤلفاته تحوى مواد غزيرة لأصول الحديث و أسماء الرجال و الجرح و التعديل و قد الحديث

(١) صدر هذا التفسير باسم « تفسير ابن تيمية » ، من المطبعة القبرية في بمبانى .

جديدة وبحوث ناقدة ، و مباحث أصولية جديدة ، بل إن مؤلفاته تشق طريقاً جديداً لفهم الكتاب ، وفتح باباً جديداً إلى إدراك مقاصد الشريعة ، وقد سبق أن تناولنا كتابين ضمنين من كتبه بالفقد و التأكيد في تفصيل ، وهما « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » و « منهاج السنة » و لم يعده هذين الكتابين عدة مؤلفات تشهد بأفكاره و آرائه الاجتهادية و ذكائه الخارق و قوته نقدر ، و تهنى العقول في كل عصر غذاماً دسمأ صالحأ من العلم والفكر ، ويجدد فيها أهل العلم في كل زمان بغتهم من المعلومات الجديدة ، و الدلائل الطريفة ، و التحقيقات الحديثة ، فثلا « كتاب النبووات » و « الرد على المنطقين » و « اقتضاء الصراط المستقيم » (١) ليست من المؤلفات العلمية القيمة ذات المستوى العالمي و المترفرفة في مواضعها خسب ، بل إنها كتب تفتح آفاق الفكر و تعد العقول للتفكير ، و تعرض عليها مجالات جديدة ، لأسئلة العلمية و القضايا الفكرية .

التفسير : خص ابن تيمية التفسير بتأليفه و تفكيره ، كموضوع مفضل ، وقد غلب عليه ذوق التفسير إلى حد سوف لا يخلو أى كتاب من كتبه عن مواد

(١) إن هذا الكتاب و إن كان يدور حول عدم المنسك بتقاليد و شعائر غير المسلمين و الامتناع عن الاشتراك في مناسبتهم وأعيادهم الدينية ، إلا أن الكتاب يحتوى - كما هو المأثور من المؤلف - على مباحث و علوم فنية ، و يصلح أن يحتل محلاً عالياً بين مؤلفات شيخ الإسلام ، أصدرت إحدى طبعاتها جمعية أنصار السنة في القاهرة .

البعث الإسلامي
١٣٩٥ هـ

و قام بالاستنباط والاجتهاد فيها ، و حاول التوفيق بين الفقه و السنة ، و جعل الفروع والأراء الفقهية تابعة للأحاديث الصحيحة ، و اجتهد في المسائل المستحدثة والأحوال والمقتضيات الجديدة ، و استبسط أحكامها من الكتاب و السنة ، شأن الفقهاء والقضاة في كل عصر ، الذين يجتهدون في المشكلات و المسائل المعاصرة ، وقد كانت شروط الاجتهاد تتوفّر فيه كما يقول بعض أهل البصيرة من العلماء ، و خلف ذخيرة واسعة من فتاواه و اختياراته وهذه الفتاوى تحفظها أربعة مجلدات كبار ، و هي ليست مجموعة من أسئل و الأحكام الفقهية خحسب بل إنها ذخيرة قيمة من المباحث الأصولية والسائل العلمية (١) .

تأثير ابن تيمية في القرون المتأخرة : قام ابن تيمية بتجديد علوم الشرعية بحسب ما أنجز من جلائل الأعمال العلمية التي كانت تسمى بالسعة و العمق ، وبالامتزاج بين العقل والنقل ، إنه قضى على ذلك الجمود والاضحلال اللذين كانا قد تسببا إلى الفكر الإسلامي ، و فتح أبواباً جديدة للتفكير ، و خلف وراءه ذخائر من العلوم و المؤلفات التي توسيع آفاق الذهن ، و تنشيط الطبيعة و تحريك القلب ، والتي مثلت دوراً رائعاً في إيجاد طبقة عالية من المؤلفين

(١) صدرت مجموعة فتاوى شيخ الإسلام في أربعة مجلدات عام ١٣٢٦هـ في مصر و اهتم بطبعها الشیخ فرج الله الكردي ، و هي تقع في ١٥٨٦ صفحة ، وفي آخر المجلد الرابع منها ملحق باسم « الاختبارات العلمية » و هو يحتوى على اختياراته و ترجيحاته ، والجزء الخامس من الفتاوى يتعلق بمسائل علم الكلام و العقائد و رسائلهما ، أما مجموعة فتاوى شيخ الإسلام التي أصدرتها المملكة السعودية و التي تحتوى على ٣٠ مجلداً فهي بمثابة مكتبة بأسرها و دائرة معارف مستقلة .

و فقه الحديث ، حتى إذا جمعت في كتاب مستقل تكونت ذخيرة قيمة وتأليفاً ضخماً ، و بالأخص فإن آراءه حول الأحاديث الموضوعة تبلغ من الصرامة و التحقيق إلى حد يصعب العثور عليه في مكان آخر ، و المقادير التي نطلع عليها حول هذا الموضوع في كتابه « منهاج السنة » وما بحثه هو عن عشرات من الأحاديث المشهورة والمتدولة كل ذلك ذخيرة نادرة قيمة .

أصول الفقه : كان هذا الموضوع مما يرغب فيه و ينزوه ، و قد حصلت له فيه ملوك راحة و مكانة اجتهادية ، ولذلك نرى أن مؤلفاته كلها تحتوى على هذه المباحث الأصولية ، ولا سيما كتابه « اقتضاء الصراط المستقيم » وفتاواه ينطويان على أكبر مقدار من المباحث الأصولية ، كما أن له رسائل مستقلة في هذا الموضوع ، كـ « رسالة القياس » و « منهاج الوصول إلى علم الأصول » و ما إلى ذلك .

علم الكلام : لو ذهبنا بتحليل مؤلفات ابن تيمية لوجدنا علم الكلام والعقائد يشغل نصف كتاباته ، أو ثلثين منها ، و رسائله التي ألفها في هذا الموضوع و عزاماً (١) إلى مدن أو أمكنته مختلفة كشرح الأصحابية ، و الرسالة الحاوية ، و التدميرية ، و الواسطية ، و السكريانية ، و البغدادية ، و الأزهرية و ما إلى ذلك ، خير دليل على معرفة أفكاره الأصلية ، و قوته استدلاله ، و حبته الدينية ، و مرآة لعلمه و ذكائه .

الفقه : أما فقه كل مذهب فكان قد تناوله المدونون في عصره بما لم يترك أي مجال للزيادة فيه ، إلا أن ابن تيمية درس كثيراً من المسائل و الأحكام في ضوء الكتاب و السنة و الاجماع و القياس و أصول الفقه ،

(١) سئ رسائله باسم المدني التي ورد منها استفتاء : بوجة عام .

والمفكرين والداعية والمصلحين في كل دور من أدوار التاريخ، ففي الحركة الفكرية واصلاحية التي نشطت منذ القرن الثامن الهجري يرجع الفضل الأكبر إلى شيخ الإسلام ابن تيمية وله الحظ الأول فيها، إنه يستحق بكل جدارة أن يعتبر في أعلام المجددين للعلوم والآفكار الإسلامية، وبالخصوص فإن مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية عامل قوى من بين العوامل الأخرى للحركات الاصلاحية العلمية والفكرية التي نشأت في أرجاء العالم الإسلامي المختلفة منذ القرن الثاني عشر الهجري.



قال الحافظ الزملکانی :

قد أعطى ابن تيمية اليد الطولى في حسن التصنيف، وجودة
العبارة و الترتيب ، و التقسيم و التبيين ، و قد ألان
الله له العلوم كا لأن لداود الحديد . كان إذا
سئل عن فن من العلم ظن الرأي
و السامع أنه لا يعرف غير
ذلك الفن ، و حكم أن
أحدا لا يعرفه

مثله

القصيدة في خلوة اللهم

مشكلة التسول ، كما يراها الإسلام

و رضى الله عن الصحابة ، فانهم ما اتصروا على الناس إلا بعد أن اتصروا على أنفسهم ، وألزموها صراط دينهم المستقيم .

و عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ : قال قال رسول الله ﷺ : من يتکفل لـ أـنـ لـاـ يـسـأـلـ النـاسـ شـيـئـاـ وـ أـتـكـفـلـ لـهـ بـالـجـنـةـ ؟ـ فـقـالـ ثـوـبـانـ :ـ آـنـ يـارـسـوـلـ اللـهـ ،ـ فـقـالـ :ـ لـاـ تـسـأـلـ النـاسـ شـيـئـاـ ،ـ فـكـانـ لـاـ يـسـأـلـ أـحـدـاـ شـيـئـاـ (١)ـ

و لقد صور لهم النبي ﷺ اليد الآخذه (باليد السفل) و اليد المتعففة أو المعطية باليد العليا . و علهم أن يروضوا أنفسهم على الاستغفار فيعفهم الله ، و على الاستغناء عن الغير فيغفيم الله . فعن أبي سعيد الخدري : أن ناساً من الأنصار سألا رسول الله ﷺ فأعطاهم ، ثم سأله فأعطاهما ، حتى إذا نفذ ما عنده قال : « ما يكون عندي من خير فلن أذره عنكم ، و من يستعن بعفه الله ، و من يستعن بعفنه الله ، و من يتضرر بصبره الله ، و ما أعطى أحد من عطاء أوسع من الصبر (٢) » .

العمل هو الأساس :

لقد علم الرسول ﷺ أصحابه مبدأين جليلين من مبادئ الإسلام :

المبدأ الأول : أن العمل هو أساس الكسب ، و أن على المسلم أن يمشي في مناكب الأرض و يتغنى من فضل الله ، و أن العمل – و إن نظر إليه بعض الناس نظرة استهانة – أفضل من تکلف الناس ، و إراقة ما في وجهه بالسؤال : « لأن يأخذ أحدكم حبة على ظهره فيأتي بمحنة من الخطب فيبعها ، فيکف الله بها وجهه ، خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه (٣) »

(١) رواه أبو داود . المصدر السابق . و أخرجه البهق في السنن الكبرى ج ٤ ص ١٩٧ .

(٢) رواه السنّة إلا ابن ماجة . نفسه . وانظر: السنن الكبرى ج ٤ ص ١٩٥ وما بعدها .

(٣) رواه البخاري في أول كتاب البيع عن الزير .

مشكلة التسول ، كما يراها الإسلام

الدكتور يوسف القرضاوى

الإسلام يحارب التسول تربوياً و عملياً :

يغرس الإسلام في نفس المسلم كراهة السؤال للناس ، تربية له على علو الملة وعزّة النفس ، والترفع عن الدنيا . وإن رسول الإسلام ﷺ ليضع ذلك في صف المبادىء التي يتابع عليها صحابته ، ويخصمها بالذكر ضمن أركان اليعنة ، فعن أبي مسلم الخواني قال : حدثني الحبيب الأمين ، أما هو إلى خبيب وأما هو عندى فامين : عوف بن مالك قال : « كنا عند رسول الله ﷺ سبعة أو ثمانية أو تسعه فقال : « لا تبايعون رسول الله ﷺ ؟ » وكنا حديث عهد بيعنة . قلنا : قد بايعناك ! حتى قال لها ثلاثة . . . و بسطنا أيدينا فبايعنا ، فقال قائل : يارسول الله إنا قد بايعناك فعلام نبايعك ؟ قال : أن تعبدوا الله و لا تشركوا به شيئاً ، و تصلوا الصلوات الحسن ، و تسمعوا و تطيعوا . . . و أسر كلة خفية ، قال : « و لا تسألو الناس شيئاً » قال راوى الحديث : « فلقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطه ، فما يسأل أحداً أن يساوله إياه (١) » .

و هكذا نفذ هؤلاء الأصحاب المبادئ مضمون هذه اليعنة النبوية تفيذآ (حرفاً) فلم يسألوا أحداً شيئاً حتى فيما لا يرزأ مala ، ولا يكلف جهـاـ ،

(١) رواه مسلم وأبي داود والنـسـائـيـ وـابـنـ مـاجـةـ .ـ كـاـ فـيـ اـتـرـغـيـبـ وـاتـرـهـيـبـ جـ ٢ـ بـاـبـ التـرـهـيـبـ من المسألة .

محرم الحرام ١٣٩٥

و هل المراد أن عنده غداء يوم و عشاءه ؟ أم المراد أنه يكسب قوت يوم يوم ، فيجد غدائه وعشاءه على دائم الأوقات ؟
لعل هذا هو الأرجح والأlicي ، فمثل هذا هو الذي يجد من رزقه المتجدد ما يغطيه عن ذل السؤال .

الغنى الذي يحرم السؤال :

و لكن لماذا اختلفت مقادير الغنى الذي يحرم معه السؤال في هذه الأحاديث ؟ إن أفضل جواب عن هذا السؤال ما ذكره العلامة ولی الله الدهلوی في كتابه الفريد « حجۃ الله البالغة » حيث قال (١) : « هذه الأحاديث ليست متخالفة عندنا ، لأن الناس على منازل شتى ، و لكل واحد كسب لا يمكن أن يتتحول عنه . . فن كان كاسباً بالحرفة فهو معذور حتى يجد آلات الحرفة ، و من كان زارعاً حتى يجد آلات الزرع . و من كان تاجراً حتى يجد البضاعة ، و من كان على jihad مسترزقاً بما يروج و يغدو من الغائيم - كا كان أصحاب رسول الله ﷺ فالضابط فيه أوقية أو خمسون درهماً و كان كاسباً يحمل الأثقال في الأسواق ، أو احتطاب الحطب و يعده و أمثال ذلك فالضابط فيه ما يغطيه و يعيشيه (٢) . »

(١) ج ٢ ص ٤٦ ط المبيرة .

(٢) يرى العلامة الحنفى أبو جعفر الطحاوى في (مشكل الآثار) أن النبي علهم السلام أولاً في القدر الذي يحرم السؤال معه ثم خفف ذلك بالتدرج حتى انتهى إلى خمس أواق، وهي نصاب الزكاة في الفضة ، ولكن لا دليل على ذلك ، وتحريج العلامة الدهلوى أولى . و حدث الأواق الخمس الذي أشار إليه لم تثبت صحته .

حرمة سؤال الناس :

و المبدأ الثاني : أن الأصل في سؤال الناس و تكفيهم هو الحرمة ، لما في ذلك من تعريض النفس للهوان والمذلة ، فلا يحل للسلم أن يلجأ للسؤال إلا لحاجة تقتصر على السؤال ، فان سأل و عنده ما يغطيه كانت مسألته خموداً

في وجهه يوم القيمة .
وفي هذا المعنى جاءت جملة أحاديث ترہب من المسألة بوعيد تنطر لـ القلوب .

من ذلك ما رواه الشیخان و النسائي عن ابن عمر مرفوعاً : « لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله و ليس في وجهه منزة لحم » .
و منها ما رواه أصحاب السنن : « من سأله و له ما يغطيه جاءت يوم القيمة خموداً أو خدوش أو كدواح في وجهه » . فقيل : يا رسول الله :
و ما الغنى . قال : « خمسون درهماً أو قيمتها ذهباً (١) » .

فالمسألة تصيب الإنسان في أخص مظاهر لكرامته وإنسانيته وهو وجهه .
و منها حديث : من سأله و له أوقية فقد أخلف (٢) ، وأوقية
أربعون درهماً .

و منها حديث : « من سأله و عنده ما يغطيه . فانما يستكثر من النار .
أو من جمر جهنم - فقالوا : يا رسول الله و ما يغطيه ؟ قال : قدر ما يغطيه و يعيشيه (٣) » .

(١) رواه الأربع .

(٢) رواه أبو داود و النسائي .

(٣) . . .

محرم الحرام ١٣٩٥

فعن أنس بن مالك (١) : أن رجلاً من الأنصار آتى النبي ﷺ يسأله فقال : أما في بيتك شيء ؟ قال : بلى : حلس (٢) ثلبيس بعضه ، و نبسط بعضه ، و قعب (٣) شرب فيه الماء . قال : ائتي بهما ... فأتاه بهما ، فأخذهما رسول الله ﷺ وقال : من يشتري هذين ؟ قال رجل : أنا آخذهما بدرهم ، قال : من يزيد على درهم ؟ مرتين أو ثلاثة . قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين .. فأعطاهما إيه وأخذ الدرهمين ، وأعطاهما الأنصاري وقال : اشتري بأحدهما طعاماً و ابنده إلى أهلك ... و اشتري بالآخر قدوماً فائتهني به ... فشد رسول الله ﷺ عوداً يسده ثم قال له : اذهب فاحطب و بع ... ولا أرىتك خمسة عشر يوماً . فذهب الرجل يحطب و يبيع ... بخاء و قد أصاب عشرة دراهم فاشترى بعضها ثوباً و بعضها طعاماً .. قال رسول الله ﷺ : هذا خير لك من أن تجني المسألة نكتة في وجهك يوم القيمة . إن المسألة لا تصلح إلا ثلاثة : لذى فقر مدفع (٤) أو لذى غرم

(١) أخرجه أبو داؤد و الترمذى و النسائى و ابن ماجة . و قال الترمذى : هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث الأخضر بن عجلان . و قد قال فيه يحيى بن معين : صالح ، و قال أبو حاتم الرازى : يكتب حدبه . انظر مختصر سنن أبي داؤد للنذرى ج ٢ ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٢) الحلس : كساء يوضع على ظهر البعير أو يفرش في البيت تحت حر الثياب .

(٣) و القعب : القدر - الإناء .

(٤) و الفقر المدفع : الشديد و أصله من الدفعاء وهو التراب . و معناه : الفقر الذي يفضى به إلى التراب ، أى لا يكون عنده ما يتحقق به التراب .

و التحقيق أن الغنى الذى يحرم معه السؤال ، أخص من الغنى الذى يحرم معه أخذ الزكاة . فان الشارع شدد في المسألة و بالغ في التحذير منها ، فلا تحمل لسلام إلا لضرورة ، و لا ضرورة بين يجد ما يكفيه في وقته إلى المسألة ، كما قال الخطابي .

هذه هي تربية الإسلام لأبنائه ، و هذه هي توجيهاته و إرشاداتاته لهم . ولكن الارشاد النظري ، والتوجيه الخلقي ، والتربية النفسية ، لا تكفى ما لم يصحبها علاج عملي للسائلين الذين يسألون عن حاجة ملحة ، و ضرورة قاهرة . و قد قيل : إن صوت المعدة أقوى من نداء الضمير .

العلاج العملي للتسول بتشغيل القادرين :

و العلاج العملي هنا يتمثل في أمرين :

أولها : تهيئة العمل المناسب لكل عاطل قادر على العمل ، وهذا هو واجب الدولة الإسلامية نحو أبنائها . فما ينبغي لراعي مسئول عن رعيته أن يقف مكتوف اليدين أمام القادرين العاطلين من المواطنين ، كما لا يجوز أن يكون موقفه منهم بصفة دائمة مد اليد بمعونة قلت أو كثترت من أموال الصدقات ، فقد ذكرنا في مصارف الزكاة قوله عليه الصلاة والسلام : « لا تحمل الصدقة لغنى و لا لذى مرة سوى ». و كل إعانة مادية تعطى « لذى مرة سوى » ليست في الواقع إلا تشجيعاً للبطالة من جانب ، و مزاحمة للضعفاء و الزماني و العاجزين في حقوقهم من جانب آخر .

و التصرف السديد الواجب هو ما فعل رسول الله ﷺ بازاء واحد من هؤلاء السائلين .

و هيأ له « آلة العمل » الذي أرشده إليه ، ولم يدعه تائهاً حيران .
و أعطاه فرصة خمسة عشر يوماً يستطيع أن يعرف منه بعدها مدى ملامة هذا العمل له ، و وفاته بطالبه ، فيقره عليه ، أو يدبر له عملاً آخر .
و بعد هذا الحل العملي لمشكلته لقنه ذلك الدرس النظري الموجز البليغ في الزجر عن المسألة والترهيب منها ، و الحدود التي تجوز في دائرتها ، و ما أحراناً أن نتبع نحن هذه الطريقة النبوية الرشيدة ! . فقبل أن نبدي و نعيد في محاربة التسول بالكلام والارشاد ، ببدأ أولاً بحل المشاكل ، و تهيئة العمل لكل عاطل (١) .

و دور الزكاة هنا لا يخفي ، فمن أموالها يمكن إعطاء القادر العاطل ما يمكّنه من العمل في حرفه من أدوات أو رأس مال ، كما يتنا ذلك في مصارف الزكاة . و منها يمكن أن يدرّب على عمل مهني يحترفه و يعيش منه ، و منها يمكن إقامة مشروعات جماعية - مصانع أو متاجر أو مزارع و نحوها - ليشغل فيها العاطلون و تكون ملكاً لهم بالاشتراك ، كلها أو بعضها .

ضمان المعيشة للعاطلين :

و ثانية : أعني ثانى الأمور التي يتمثل فيها العلاج العملي للمسألة والتسول في نظر الإسلام هو ضمان المعيشة الملائمة لكل عاجز عن اكتساب ما يكفيه .. و عجزه هذا لسبعين :

أ - إما لضعف جسماني يحول بينه وبين السكب لصغر السن و عدم العائل كاف اليتامي ، أو لنقص بعض الحواس أو بعض الأعضاء ، أو مرض معجز ، إلخ ، تلك الأسباب البدنية التي ينتهي المرء بها ، ولا يملك إلى التغلب

(١) من كتابنا « مشكلة الفقر و كيف عالجها الإسلام » .

مفعض (١) ، أو الذي دم موجع (٢) .
وفي هذا الحديث الناصع نجد النبي ﷺ لم يرد للأنصارى السائل أن يأخذ من الزكاة و هو قوى على السكب . . و لا يجوز له ذلك إلا إذا صافت أمامة المالك ، وأعيته الحيل . . و ولـ الامر لا بد أن يعينه في إتاحة الفرصة للكسب الحلال و فتح باب العمل أمامة .
إن هذا الحديث يحتوى على خطوات سبعة سبق بها الإسلام كل النظم التي عرفها الإنسانية بعد قرون طويلة من ظهور الإسلام .

إنه لم يعالج السائل الحاج بالمعونة المادية الواقعية كما يفكـر كثيرون ، ولم يعالجه بالوعظ المجرد و التنفيذ من المسألة كما يصنع آخرون . و لكنه أخذ يده في حل مشكلته بنفسه و علاجه بطريقة ناجحة .
عليه أن يستخدم كل ما عنده من طاقات و إن صغرت وأن يستنفد ما يملك من حيل و إن ضئلت ، فلا يلتجأ إلى السؤال و عنده شيء يستطيع أن ينتفع به في تيسير عمل يغـيه .

و عليه أن كل عمل يجلب رزقاً حلالاً هو عمل شريف كريم ، ولو كان احتطاب حزمه يجتباها فيبعها ، فيكفـ الله بها وجهه أن يراق ماؤه في سؤال الناس .

و أرشده إلى العمل الذي يناسب شخصه و قدرته و ظروفه و ينتهـ

(١) و الغرم المفعض : أن تلزمـه الديـة الفظـيعة الفادـحة ، فـتحـلـ له الصـدقـة و يعطـىـ من سـهمـ الغـارـمـينـ .

(٢) الدـمـ المـوجـعـ : كـثـيـرـةـ عنـ الـدـيـةـ يـتـحـمـلـهاـ ، فـتـرهـقـهـ وـ تـوـجـعـهـ ، فـتـحـلـ لهـ المسـأـلـةـ فـيـهاـ .

عليها سيلًا . فهذا يعطى من الزكاة ما يغطيه ، جبراً لضعفه ، و رحمة بعجزه ، حتى لا يكون المجتمع عوناً للزمن عليه ، على أن عصرنا الحديث قد استطاع أن ييسر بواسطة العلم بعض ذوى العاهات كالمسكونفين وغيرهم ، من المحرف و الصناعات ما يليق بهم ، و يناسب حالتهم ، و يكفيهم هو انتهى السؤال ، و يضمن لهم العيش الكريم ، و لا بأس بالاتفاق على تعليمهم و تدريسيهم من مال الزكاة .

ب - و السبب الثاني للعجز عن الالتحاق هو انسداد أبواب العمل الحال في وجه القادرين عليه ، رغم طالبهم له ، و سعيهم الحثيث إليه ، ورغم حماولة وللأمر إتاحة الالتحاق لهؤلاء . فهو آراء . - ولا شك - في حكم العاجزين عجزاً جثمانياً مقدعاً ، وإن كانوا يتمتعون بالبررة و القوة ، لأن القوة الجسدية وحدتها لا تطاعم و لا تغنى من جوع ، مالم يكن معها اكتساب .

و قد روى الإمام أحمد وغيره قصة الرجلين اللذين جاماً يسألان النبي ﷺ من الصدقة فرفع فيها البصر و خفضه فوجدهما جلدين قويين فقال لهمَا: « إن شئتما أعطيتكمَا ، ولا حظ فيها لغنى ولا لقوى مكتسب » ، فالقوى المكتسب هو الذي لاحق له في الزكاة .

و بهذا البيان يتضح لنا ضلال الكثيرين من ظنوا أن الزكاة صدقة تعطى لكل سائل ، و توزع على كل مستجد ، وظن بعضهم أنها تعين على كثيرة السائلين و المتسولين الشحادين . بل تبين لنا أن الزكاة لو فهمت كاً شرعاً للإسلام ، و جمعت من حيث أمر الإسلام ، و وزعت حيث فرض الإسلام أن توزع . كانت أبجح وسيلة في قطع دابر التسول و المتسولين .

فضيلة الشيخ معين الدين أحمد الندوى في ذمة الله

سعيد الأعظمي الندوى

كان نبأ وفاة فضيلة الشيخ الأستاذ معين الدين أحمد الندوى مفاجأة ألمية ، ذرفت منها العيون ، و خشت القلوب ، و إذا كان الناس يعبرون عن شدة المصاب و مفاجأته بوفاة رجل كبير بالصاعفة التي تنزل فان تعبرينا عن شدة هذا الحادث و بخاتمه بأكثر من صاعفة نزلت بنا .

لم نكن نتوقع أنه يفارقنا في مثل هذه الظروف التي كنا فيها بأشد حاجة إليه ، و لكن وقع ما أراد الله ، وحدث ما قدر ، وكان قدر الله مقدوراً ، و استأثرت رحمة الله بالعالم الأديب ، الشيخ معين الدين أحمد الندوى مدير مجمع « دار المصنفين » بأعظم كره ، و رئيس تحرير مجلة « معارف » الشهرية التي أنشأها العلامة السعيد سليمان الندوى كلسان حال عن هذا المجمع ، استأثرت به رحمته عصر يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة ١٣٩٤ هـ الموافق ١٣ من شهر ديسمبر ١٩٧٤ م ، فانا لله و إنا إليه راجعون .

ليست وفاة الشيخ معين الدين أحمد الندوى حدثاً يختص بفرد أو أفراد أسرة ، إنما هي خسارة الشعب المسلم المندى بصفة خاصة و خسارة العالم الإسلامي بوجه عام ، فقد كانت حياته تاريخاً يذكر بألوان عديدة من خدمة

من أحفاد العارف الكبير الشيخ عبد الحق الندوى (م ١٣٧٤) الذى كان من كبار علماء الهند وأعيانها ، والذى تناول الناس بالعلم والتربية الدينية أوائل هذا القرن الهجرى ، على يد نخبة من علماء ربانيين ، الغيارى على دينهم وتراثهم العلمي والحضارى ، أولئك الذين تم على يدهم تأسيس ندوة العلماء أداء لأمانة العلم والدين إلى كانت تفرض عليهم الظروف في ذلك الحين ، وتطلب منهم أن يبذلوا في سبيل ذلك كل ما يملكونه من وسائل وإمكانيات ، وكان في مقدمتهم وعلى رأسهم العالم الربانى الكبير الشيخ محمد على المونجىرى الذى تولى حمل هذا العبء العظيم ، وساعدته في ذلك العلامة شبل النعمانى الذى حظيت به ندوة العلماء في مجال العلم والأدب والتربية ، وقد كان العلامة السيد سليمان الندوى إحدى ثمرات تربته ، وهو الذى عرفه العالم الإسلامي والعربي بمؤلفاته القيمة وآرائه السديدة وخدماته الجليلة في الدين والعلم ، وهو الذى ألف في السيرة النبوية (على صاحبها ألف ألف صلاة وسلام) كتاباً ضخماً يحتوى على مجلدات كبار ، ويمتاز بغزاره المواد ، وصدق التعبير ، وصفاء الديباجة ، ونقاء الأسلوب ، من كتب السيرة الأخرى . خلفه الشيخ معين الدين أحمد الندوى في إدارة مجمع دار المصنفين وفي التأليف والتدوين ، واستطاع أن يملأ ذلك الفراغ الذى كان قد حدث بوفاة أستاذة العلامة الندوى ، استطاع أن يملأه بغاية من البراعة والكمامة والدقة ، وأن يشغل منصب رئيس تحرير مجلة « معارف » بعده بمقداره ، وأن يحافظ على مستواها العلمي والأدبى ، وخصائصها الصحفية البارزة بشئ كثير من الدقة والاتقان ، حتى لم يشعر الناس بنقص في المستوى أو ضالة في المحتوى .

ينتمى الشيخ معين الدين أحمد الندوى إلى أسرة عريقة في المجد وهو

من أحفاد العارف الكبير الشيخ عبد الحق الندوى (م ١٣٧٤) الذى كان من كبار علماء الهند وأعيانها ، والذى تناول الناس بالعلم والتربية الدينية في عصره ، فأفاد خلقاً كبيراً بتوجيهاته الدينية وإرشاداته الرばزية .

ولد الشيخ الندوى في عام (١٩٠١ م - ١٣٢٠ هـ) في قرية اسمها « ردولى » وهي تبعد من لகھنؤ (عاصمة الولاية الشمالية) نحو ٩٠ كيلو متراً ، ودرس العلوم الابتدائية على والده الشيخ محمد حسنات ثم توجه إلى دار العلوم ندوة العلماء والتحق إليها كطالب ، و أتم دراسته فيها على أستاذة كبار ، منه العلامة السيد سليمان الندوى الذى تولى تلמידه النابغ دلائل النبوغ ورأى فيه مخايل الذكاء والتقدير ، فجعله من أخص تلاميذه وأصحابه وتناوله بشئ كثير من الاهتمام بتوريته و تخرجه ، ولما انتقل إلى دار المصنفين استصحبه هناك ، و شغله فيها بالدراسة والمطالعة ، و التأليف والكتابة ، حتى أصبح من الكتاب المرموقين ، و الأدباء البارزين ، يساعد أستاذة في جميع مراحله العلمية والكتابية ، و يكتب المقالات العلمية والتاريخية والأدبية في مجلة « معارف » الشهرية ، و لذلك كان من أجدر من يخلف العلامة الندوى بعد هجرته إلى باكستان ، و من يتول إيه مهام هذا المجمع وإدارته بعده .

ظل الشيخ معين الدين أحمد الندوى مديرأً لمجمع دار المصنفين ورئيس تحرير مجلة « معارف » ثلاثين عاماً كاملة ، وواجه خلال هذه المدة ظروف خاصة جداً تكاد تقضى على هذا المجمع العلمي الكبير ، و تهدى نهايته الأليمة ، خاصة الظروف التي مرت بها الهند بعد التقسيم وجود دولة باكستان ، تعتبر من أقسى الظروف و أمرها في تاريخ هذه البلاد الإسلامية ، مما يعلمه الجميع ، ولو لا عزيمته الصادقة في مواجهة التيارات المضادة ، ولو لا إخلاصه

و تقانه في سيل المحافظة على هذه المؤسسة العلمية الكبرى ، لم يبق لها عين ولا أثر ، وكانت دار المصنفين قصة من قصص التاريخ تروى وتذكر على مر الأيام .

آخر الشيخ الندوى البقاء في هذه الجزيرة العلمية والاشغال فيها بالدراسة و التأليف ، و خدمة الدين و الأدب في صيت ، على شهرة يريدها أو سمعة يكتسبها في هذا العالم ، إنه خالف في ذلك الاتجاه السائد في عصره من التظاهر بالأعمال ، بل بما ليس من الأعمال ، و طلب الجاه و المال و الشهرة الكاذبة عن طريق العلم و الأدب ، إنه رضى كل الرضا بما وفقه الله من القيام بنشر الآداب و الفضائل ، و بما يكون له زاداً في حياته القادمة ، و ضماناً لمستقبله في الآخرة ، إنه لم يطبع في منصب أو جاه من الدنيا ، ولا رغب في الحصول على عزة أو مكانة من الحكومات ، ولو أنه فعل ذلك لكان المناصب الكبيرة تسرع إليه ، وكانت الحكومات تعطف عليه و تمنحه كل ما يرغبه فيه من عزة أو مكانة .

اتسمت حياته بالتواضع و الزاهدة ، و الأخلاق و المحبة ، فكان نور من الإيمان و العلم يعلو وجهه ، و فراسة من اليقين و الذكاء تخطي شخصه ، فان كان هو كبر الذكاء و الفطانة في الأمور العلمية والأدبية والتربوية ، لم يكن في الأمور الشخصية والعائلية ذا فطنة و دهاء ، كان يجمع بين الذكاء والسداحة و بين التواضع و الفراسة ، فان لقيه أحد لم يتبعن منزلته العلمية ما لم يعرفه عن كثب و اتصال و معرفة .

عاش طول حياته في غاية من التواضع و السذاجة في المظهر و الخبر ، فكان يرحم كل صغير و يؤقر كل كبير ، و كان معجبًا بأستاذنا الكبير سماحة

الأستاذ أبي الحسن على الحسني الندوى ، يحبه و يراه عالماً مثالياً ، و رجلاً كبيراً ، فذاً في العلم و الخلق ، و العلو و الزاهدة ، كما كان شديد الاتصال بشئون ندوة العلامة و عميق الصلة بتاريخها وأهدافها ، هم بمشكلاتها وقضاياها غاية الاهتمام و يرى من واجبه أن ينصح لها و يعمل في ترقية مشاريعها .

منذ عدة سنوات حضر إلى المحدث الكبير العلامة محمد زكرياء الكاندھلوی وبايده ، و كان يزوره حيناً آخر في سهارنفور و يقضى عنده بعض الوقت ، و زار الحرمين الشريفين ، في العالم الماضي و تشرف بالحج و الزيارة (للمرة الثانية) على دعوة من وزارة الإعلام للملكة السعودية ، فكان بعد ذلك نعمة كبيرة من الله امتن بها عليه ، رافقه في هذه الرحلة فضيلة الشيخ عبدالسلام القدواني الندوى معتمد التعليم لدار العلوم ندوة العلامة .

له من الآثار العلمية والأدبية ماتتجمل به المكتبة الإسلامية الأردية في هذه البلاد ، منها « المهاجرون » و « التابعون » و « دين الرحمة » و « حياة سليمان » و « تاريخ الإسلام » و غيرها من المؤلفات .

أما مقالاته الافتتاحية التي كان يستهل بها كل عدد من مجلة « معارف » فهي ذات قيمة كبيرة و أهمية بالغة ، أسلوبه يتم بالرواء و الرشاقة ، وقصر الجمل ، ونصاعة البيان ، وكتاباته تحمل مواد غزيرة من العلم والتاريخ و الدين والأدب ، نقلت مقالاته الكثيرة إلى لغات أخرى ، وقد نشرت مجلة « البعث الإسلامي » عدداً من مقالاته بعد التعريب ، وسيطلع القارئ في هذا العدد أيضاً على مقال له حول الشيوعية .

[بقية الافتتاحية المنشورة على ص ٨]

رأس ماله — على مصير الإنسانية الحاضرة و على مستقبل هذا الدين ومصير الدعوة، واحترامهم وحبيهم و إجلالهم للصحابة والتابعين حباً و إجلالاً يليق بشأنهم ، و الثقة بفهمهم للدين و زرائهم و ارتقاهم عن مستوى الشبهات أو مستوى عامة الرجال تمام الثقة ، و الاعتزاز باقتداء آثارهم كل الاعتزاز، و التشيع بحب سيدنا و قائدنا و معلمينا و شفيعنا محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي عليهما السلام حباً يفوق على حب النفس و المال و الأهل و الولد مطابقاً لما جاء في الحديث الصحيح عن النبي عليهما السلام « لا يؤمن أحدكم حتى يكون أحب إليه من والده و ولده و الناس أجمعين » (١) ، فيجب على كل عامل مخلص لهذا الدين أن يتتجنب هذه المزالق التي تعرّض طريقه في بعض مراحل الدعوة ولا تسمح له أشغاله المتوازنة و نشاطاته المتلاحقة و رحلاته المتصلة المتواتلة بالتأمل فيها والاحتراز منها ، و تمييز المفسد من المصلح ، والضار من النافع .

إن طبيعة هذا الدين غير طبيعة الدعوات الأخرى و منهجه غير منهجهها وأسلوبه غير أسلوبها و لغتها غير لغتها ، و سخنته غير سخنتها ، و نبرات صوتها غير نبرات صوتها وأنقدم خطوة فأقول إن قسمات وجهه غير قسمات وجهها ، و كيف لا يكون ذلك فدعوة الدين هي الدعوة إلى الآخرة و دعوة المذاهب الوضعية هي الدعوة إلى الدنيا ، دعوة الدين إلى تحسين الحياة الطويلة الباقية

(١) كان شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال مونياً كل التوفيق في فهم هذه الكلمة وضرورته الاتصال الوثيق بشخصية النبي إذ قال: إننا نعتقد أن الإسلام دين أوحى الله به ولكن وجود الإسلام كمجتمع أو أمة يتوقف على شخصية محمد صلى الله عليه وسلم .

(أنظر: النبي الخاتم، لساحة الأستاذ أبي الحسن علي الحسني الندوى)

و للدار الآخرة خير للذين يتقوون أولاً تعلقون (١) ، و دعوة الحركات السياسية والمذاهب الاقتصادية و السياسية المعاصرة إلى تحسين الحياة القصيرة الفانية ، و تخدعون مصانع لكم تخذلون (٢) .

فينبغى أن يتجلّى هذا الفارق الأساسي والخط الفاصل المميز بين الدعويين فيسائر أجهزة الدين و فروعه و أجنبته و نشاطاته و تصرفاته وفي نظره العامة إلى الحياة والأحياء بل إلى جميع الأشياء حال من جاءه برهان من ربها و ذاق حلاوة الإيمان و فتح الله عليه باب المعرفة و الإحسان و أوى نعمة الفرقان بين الحق و الباطل فتكيف سلوكه و خلقه و نشاطه و جهاده بهذا الإيمان و ظهر إيمانه بالغيب على إيمانه بالمشهود ، و إقباله على الدار الآخرة على إقباله على الدنيا و طمعه في التجاة من النار على طمعه في الرق والازدهار و الفتح و الانتصار إذا كان ذلك من غير قلب سليم ، ونية سالحة ، وعاطفة إيمانية ودعوة ربانية وروح نبوية وفي حدود معلومة وانحصار نطق بها الكتاب و السنة ، و حدتها الشريعة السمحنة الغراء و درج عليها الصالحون و أجمع عليها العلماء الربانيون ولم تدعها شوائب الحضارة المادية ، و سوم الثقافة الغربية و الأفكار اللامدية .

إن القرآن حرص دائماً على أن يبقى هذا الفرق واضحأً لكل ذي عينين و حتى في الأشياء التي تتعلق بالإدارة و البناء و التصميم (٣) ، و الحياة المنزلية و الآداب اليومية و المعيشة العامة لتظل الأمة الإسلامية شامة بين

(١) الأنعام : ٢٢ .

(٢) أشارة : ١٢٩ .

(٣) إقرأ تفسير قوله تعالى في سورة يونس : « واجعلوا بيونكم قبلة الآية .

الناس لا في الشارة واللباس والاسم والعنوان ولغة الحديث والقرآن بل في الذوق والوجدان ، في العقل والقلب ، في الضمير ومكانته الصدر، و في سلوك الفرد وسلوك الجماعة ، وسلوك الدولة ، وسلوك الأمة ، في سائر مجالات الحياة وفروعها .

و هنا نقطة أخرى لا ينبغي إغفالها وهي أن في طبيعة هذا الدين قوة ذاتية ، أو قل إذا شئت نوراً إلهياً ومسحة من جماله - جل وعلا - و هي غنية بهذه القوة أو بهذا النور عن استيراد أي « طاقة » أو وسيلة معنوية من الخارج لتقريب مفاهيمه و منهجه و سلوكه إلى أفهم البشر وذلك ما شعر به و اطلع عليه مشركون (١) ، و كانوا يمنعون أولادهم عن حضور القرآن و الغوا فيه لعلمكم تغلبون (٢) ، و كانوا يمنعون أولادهم عن حضور مجالس النبي عليه صلواته وأصحابه حتى لا ينجذبوا إلى هذا الدين ، و قصة إيمان سيدنا عمر بن الخطاب و تلاوة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنهما التي كانت ترق لها القلوب القاسية الجافة ، نماذج رائعة لهذه القوة الذاتية في المنهج الإسلامي الأصيل ، يدل على ذلك دلالة واضحة ما رواه ابن كثير في تاريخه فقال : لما قدم عمر الشام عرضت له مخاضة فنزل عن بعيره و نزع موقعه فامسكتها بيده و خاض الماء و معه بعيره فقال أبو عبيدة قد صنعت اليوم شيئاً عظيماً عند أهل الأرض ، صنعت كذا وكذا ، قال فشك في صدره وقال لو غيرك يقولها يا أبو عبيدة إنكم كتمتم أذل الناس وأحرق الناس فأعزكم الله بالإسلام فيما تطلبوا العزه بغيره بذلك الله (٣) .

(١) حم الراجدة : ٢٦.

(٢) البداية والنهاية / ٦٠٧ و رواه الحاكم في المستدرك و قال صحيح على شرطهما .

وليس المراد من هذا القول كايشعر البعض - جاهلية سافرة أو ألوانها المكسوقة لابل إنه يعم سائر عروقها وخطوطها وألوانها وبصماتها في الصدور. هذه القوة الذاتية في الإسلام ، و معرفة طبيعته ، و الوفاء بمنهجه ، والثبات على جادته واستعمال قوته جعلت الصحابة والتبعين والشهداء والصالحين ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين في غنى عن كل منهج جاهلي ومظهر جاهلي و خط جاهلي .

إن طبيعة هذا الدين و روحه تتضمن أن تستعمل قوته الذاتية بدلاً من الاعتماد على وسائل القوة و التأثير الخارجية اعتماداً زائداً ، تاركين هذه القوة الكامنة في الصدور وراء الظهور ، و أن تقدم بحمل لواء هذا الدين و نشر دعوته بالقلب السليم و الفكر السليم و الجسم السليم و ذلك باختيار المنهج النبوى في الدعوة و الهدایة و القيادة ، وأسلوبه الممتاز في الكفاح لدين الله و الجهاد لاعلاء كلمة الله ، و المحافظة على أصلاته و معرفة طبيعته ، و تذوق حلاوته و صيانة روحه المشرفة و جوهره النقى الذي تراكم عليه الغبار بتأثير البيئة و المكان و الزمان ، و وجودنا بين الجاهليات الحديثة و تiarاتها العنيفة التي تلاحقنا من كل جانب .

لقد جاء في الحديث : يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر (١) .

وأثنى رسول الله عليه صلواته مرة على آخر هذه الأمة إيمانهم بالغيب و ثقفهم بوعده الله حينما سأله أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح فقال : يا رسول الله أحد خير منا ، أسلمنا و جاهدنا معك قال : نعم ! قوم

(١) رواه الترمذى عن أنس .

النبي الخاتم



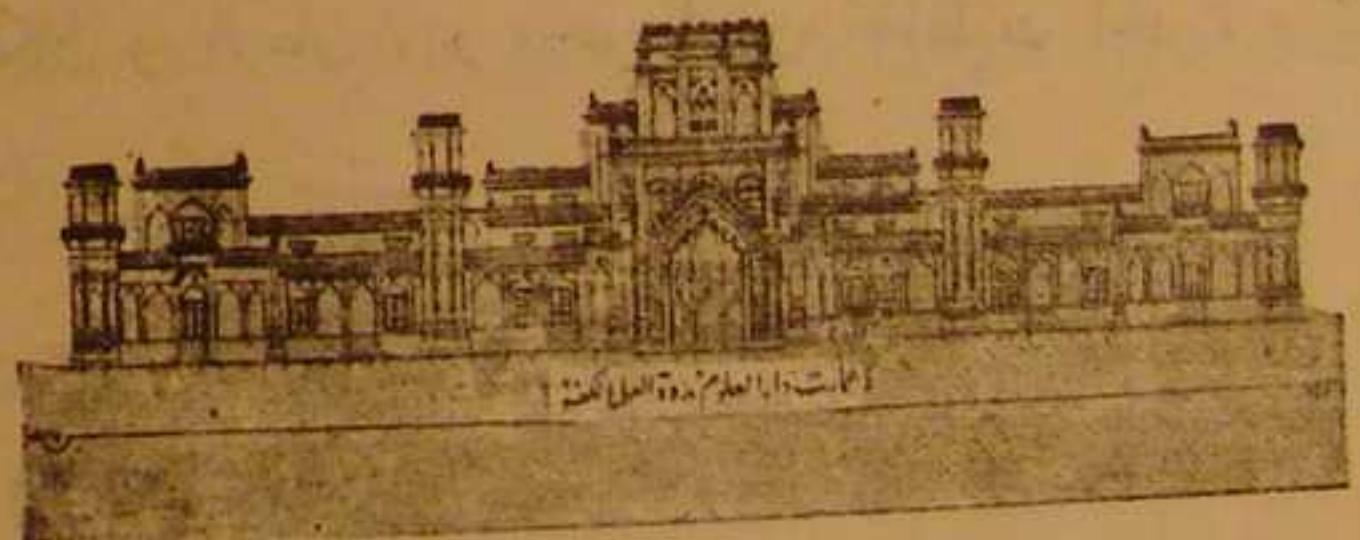
«النبي الخاتم»، الذي ألفه سماحة الأستاذ أبي الحسن على الحسني الندوى وقام بنشره المجمع الإسلامي العلى بلکھنؤ (الهند) من الكتب التي لا تجده بها المكتبة الإسلامية - وهي غنية عامرة - إلا نادراً، ولعله خير ما أُلف في هذا الزمان في هذا الموضوع الدقيق الحساس الذي توقف عليه سعادة الدنيا والآخرة، وهو بحث على دراسة تحليلية في اختتام النبوة وانقطاعها بعد سيدنا محمد ﷺ في ضوء الكتاب والسنة و تاريخ الديانات وفلسفة الاجتماع، وفيه ما يقنع الشرقي تمام الاقناع، ويتحدى الغرب المبهور بعلمه، المأذوذ بغطرسته وغروره كل التحدي، وأما ما جاء في الكتاب حول كثيرة المتنبئين في الديانات السابقة وخطفهم على سلامه العقيدة ووحدة الديانة، وفضل عقيدة ختم النبوة على المدية ودراسة الصحف السماوية السابقة والقرآن في ميزان العلم والتاريخ وعن فتنة المتنبئين في هذا الدين، وعن الالهام الجماعي لمصلحة الإسلام والمسلمين فهي بحوث لم يتطرق إليها دارس في الغالب يمثل هذا التدقير والتعمق والدراسة الغزيرة والمثابرة العلمية.

وقد أُلف هذا الكتاب - كما كتب المؤلف في المقدمة - بعد أن أصدرت أكبر مملكة إسلامية حكمها في قضية ختم النبوة فأراد المؤلف

قوم يكونون من بعدهم يؤمنون بي ولم يروني (١) .
ومن هنالك فإن مشكلتنا في هذا الطريق وحافظتنا على هذا التراث البوئ العظيم من العلوم والأعمال والأذواق والأحوال وحرصنا على روح هذا الدين التي الخالص و العض على كل ذلك بالنواخذ هو نفسه يدلنا دلالة واضحة على صحة الهدف والاتجاه، وسلامة الأفكار والأرواح، و هو كفيل بالفلاح في الدنيا والنجاة في الآخرة ، إن شاء الله .

وقد بشر لسان النبوة هذا الجيل المؤمن بوعد الله ، الوف لدين الله بكونه على الحق وسلمته عن الفتن والأخطر وقوله عند الله ، فقال ﷺ : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك (٢) .

محمد الحسني



(١) رواه أحد .

(٢) رواه مسلم عن ثوبان .

ـ جزاء الله عن الاسلام و المسلمين كل خير ـ أن تنتهى هذه القضية على الصعيد العلى و الفكرى كما انتهت على الصعيد الحكوى و الادارى . فقضى الله لهذا العمل المبارك الجليل و وفقه في ذلك كل التوفيق ، و الكتاب رغم صغر حجمه نص و متن ما فيه حشو و زوائد ، وهو جدير بأن يترجم إلى سائر اللغات العالمية و الاقليمية و المحلية الأهمية موضوعه ودقة بحثه و قوله الفصل في أمر متعلق بصييم الدين .

وسيتولى الجمع الاسلامى العلمى إصدارطبعتين الاردية و الانجليزية أيضاً لهذا الكتاب في وقت قريب فنلت إليها الأنظار .

❖ مؤتمر جماعة التبليغ في الهند ❖

عقدت جماعة التبليغ مؤتمراًها العام في « بانوبى »، بولاية « كجرات »، حضره أكثر من ربع مليون مسلم (أما تقدير الصحف في ولاية « كجرات » فهو نصف مليون) يمثلون ولايات الهند المختلفة و سارت قطارات مخصصة للندوبين من بعض الولايات وأشرف على هذا المؤتمر أمير الجماعة السيد إنعام الحسن و الشيخ محمد عمر و آخرون ، وقد حضر المؤتمر وفود كثيرة من البلاد العربية والأوربية والأمريكية ، ووفود من إفريقيا وبلاد أخرى ، وخرجت ما يقارب أربعين ألف لدعوة إلى دين الله في أنحاء العالم المختلفة وهي تتالف من أكثر من أربعة آلاف من الذين خرجوا في هذا السبيل على نفقاتهم الخاصة ويلى هذا المؤتمر مؤتمر عام في كانفور على بعد خمسين ميلاً من لوكهنت ، وآخر سنوي في بوفال في وقت قريب .